الأهمية المادية والاقتصادية للنوبة
في عصر الأسرة الثامنة عشرة
(دراسة تحليلية نقدية في ضوء الدراسات والحفائر الحديثة)

د. إبراهيم محمد بيومي مهران

أستاذ التاريخ القديم المساعد بكلية الآداب – جامعة عين شمس

تبوأت مصر إبان عصر الأسرة الثامنة عشرة مكانة رفيعة، وامتدت سلطاتها وحدودها السياسية وقتذاك، وشمل نفوذها أراض جديدة خضعت لسلطان التاج المصري، ومنها إقليم النوبة، الذي اتسع نطاق السيطرة عليه، ليصبح بكامله إقليماً مصرياً خالصاً[١]؛ لما يمتلكه من مقومات اقتصادية وسياسية مهمة، وإن كانت الدراسات التاريخية الموجودة عن النوبة لم تقدم لنا صورة مكتملة الأركان عن النشاط الحضاري بها[٢]، رغماً من استمرار أعمال الحفائر الأثرية بمواقع عديدة منها، وتواصل معظم الأعمال لمواسم سنوية متتالية. ولمَّا كانت البعثات تنشر النتائج في تقارير مفصلة، فقد أمكن لنا الاطلاع على كثير من المنشور منها تباعاً، وكذا العديد من الأبحاث والدراسات العلمية الحديثة، حتى شهر مارس ٢٠١٨م والتي لم تتوقف أبداً عن البحث في تاريخ وحضارة النوبة القديمة، وبلغات متعددة.

الأحوال السياسية للنوبة:

تشغل النوبة المنطقة الواقعة ما بين الجندل الأول عند أسوان، وحتى ملتقى النيلين الأبيض والأزرق عند الخرطوم٣،وقطنها قديماً قبائل سمراء، ذكر المصريون منها: المجاي أو المجايو، ونحسيو وستاو والكوشيين والأقواس٤، وبدأ اتصال النوبيين بمصر منذ ما قبل الأسرات٥، فكثير من مخربشاتهم ينتمي للعصر الحجري الحديث٦.وقد قسم العلماء مقابرهم إلى مجموعات٧ ، رمزوا لها بالحروف (A–B–C–D–X)، حيث تمثل كل مجموعة منها عصراً محدداً٨.

ودلت الكشوف الأثرية أن النوبة حتى الجندل الرابع منذ عصور ما قبل التاريخ كانت أمة واحدة من حيث السلالة والحياة الاجتماعية والمعتقدات الدينية، وأثبت فحص الجماجم البشرية في الجهتين أن المصري والسوداني ينسبان إلى السلالة الحامِيَّة[٩].

وبعد أنطرد أحمس الهكسوس، وتعقبهم حتى جنوبي فلسطين[١٠]، اعتلى عرش مصر مؤسساً للأسرة الثامنة عشرة، ثم توجه للنوبة بثلاث حملات عسكرية، لاستعادة سيادة مصر، بعدما كاد التحالف بين الهكسوس والكوشيين[١١] أن يقضي على إعادة إقامة الدولة المصرية المستقلة[١٢]، ووصل منطقة الجندل الثاني[١٣]،وأصبحت طيبة عاصمة لمصر، وتربع آمون سيداً لمعبوداتها[١٤]، وامتدت عبادته للنوبة إلى جانب معبوداتها المحلية، وصار جبل برقل مقراً رئيسياً لآمون[١٥]، حيث كان ينظر للجبل على أنه مسكن ومستقر له[١٦]، وغدا آمون واحداً من أهم ركائز القوة المصرية في السيطرة على إقليم النوبة[١٧]، وإلى جانب ذلك شيد المصريون عدداً من المعابد على طول الوادي، صارت مراكز ناجحة في نشر الدعاية المصرية بين سائر النوبيين[١٨].

وخلال عصر الأسرة الثامنة عشرة انقسمت النوبة إدارياً وإقليمياً إلى قسمين، على غرار ما كان متبعاً حينذاك في مصر[١٩]، وإن كان تقسيمها إلى منطقتين (واوات وكوش) مع وجود مشيخات منفصلة في كل وحدة حكومية، يجعلنا نميل إلى أن حكام كرمة لم يبسطوا نظامهم الملكي على كل المناطق التي سيطروا عليها من قبل[٢٠]، وتحديداً في عهد الأسرتين المصريتين الخامسة عشرة والسابعة عشرة[٢١].

وكان إقليم "واوات" *W3w3t* يشمل المنطقة ما بين جنوبي أسوان شمالاً، و"سمنة" جنوبي وادي حلفا كحد جنوبي، وكانت عاصمته "ميعام" (عنيبة حالياً)[٢٢]، (خريطة رقم ١)،والإقليم الآخر كان يسمى "كَش" *Kš*، ثم حُرف الاسم في الدولة الحديثة إلى "كاش" *K3š* ثم إلى "كوش"[٢٣]، وهو يمتد

من الجندل الثاني عند "سمنة"، وحتى نهاية النوبة عند "الدبة"[٢٤]، وكانت عاصمته "عمَارة غرب"[٢٥] جنوبي وادي حلفا[٢٦].

الأوضاع المادية والاقتصادية للنوبة:

من خلال ما وصلنا من نقوش وكتابات، مسجلة على جدران المعابد ومقابر الملوك وكبار موظفي الدولة (لوحة رقم٢، ٣)، وأيضاً المناظر البديعة التي صورها المصريون لكي تعبر عن حياتهم وأحوالهم في الدنيا، علاوة على أعمال الحفائر الأثرية والدراسات الحديثة، فقد أمكننا رسم صورة ربما تحاكي ما كانت عليه أحوال النوبة المادية والاقتصادية في عصر الأسرة الثامنة عشرة، حيث أصبح الوجود المصري إبان تلك الفترة رئيسياً لا محالة[٢٧]، وبدا نشاط المصريين فيها كثيفاً وعلى نطاق واسع[٢٨]، إلى درجة أننا نرى اللقى الأثرية المكتشفة في معظم المواقع النوبية من أيام الأسرة الثامنة عشرة، تتشابه إلى حد بعيد مع مثيلاتها التي كانت تنتج في نفس الوقت في مصر.

ومثال على ذلك أعمال الحفائر الحديثة في سيسبي[٢٩]التي نظمتها جامعة كامبريدج في موسمي عام ٢٠٠٩ و٢٠١١م، وقاد فريق العمل فيها "كيت سبنس" (Kate Spence) ومعه فريق متخصص شمل: "باميلا روز" (Pamela Rose) و"بونبري" (J. Bunbury) و"كلافام" (A. Clapham) و"كوليت" (P. Collet) و"سميث" (G. Smith) و"سودربرج" (N. Soderberg) ونشرت نتائج أعمال الفريق مشتملة على إضافات جديدة عن مظاهر الإنتاج الحضاري، وتم إعادة تخطيط الموقع كاملاً، بعد تحديد الجدران الحجرية المكتشفة، والتي وصل ارتفاعها إلى ٢.٥م، والكشف عن موقع محجر الحجر الرملي الواقع إلى الشمال قليلاً من سيسبي، وكذلك دراسة الفخار المكتشف في الموقع، والذي جاء بنفس مواصفات فخار كرمة المحلي المصنوع يدوياً، كما تأكدت لنا أهمية هذا الموقع بالنسبة لمناجم الذهب واستغلالها الدائم أيام الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها[٣٠].

ولدينا كذلك أعمال الحفائر الأثرية الحديثة في عمارة غرب[٣١]، عاصمة إقليم النوبة العليا[٣٢]،والتي اكتشفت أهم آثارها سلفاً من خلال أعمال التنقيبات المنظمة التي قامت بها جمعية The Egypt Exploration Society (EES) البريطانية، في الفترة ما بين (١٩٣٨ – ١٩٣٩م) وكذلك (١٩٤٧ – ١٩٥٠م)[٣٣].

وخلال سنة ٢٠٠٨م تواصل العمل مجدداً، بقيام مشروع بحثي تابع للمتحف البريطاني، كان تركيزه مسلطاً على إعادة بناء التجربة المعيشية للمجتمعات المصرية والمجتمعات الأصلية والمختلطة في عمارة غرب، عن طريق إجراء حفائر جديدة في المدينة واثنين من المقابر المرتبطة بها، وكشف عن العمارة التي حافظت على هيئتها بشكل جيد، وكذا المجموعات الأثرية، والمواد الحيوانية والنباتية، وتحديداً الخشب والفحم النباتي المستخرج من المقابر، مع دراسة تجريبية للبقايا الكلية المتفحمة[٣٤].

وقد أمدتنا حفائر المتحف البريطاني بمعلومات عديدة قيمة حول إعادة إعمار النوبة أيام الدولة الحديثة، ابتداءً من مطلع عهد الأسرة الثامنة عشرة، والتقييم الاقتصادي للمجتمع النوبي، وأهم المظاهر الحضارية به، ومنها طبيعة العمران وأسلوب الحياة العامة للسكان[٣٥]، ولوحظ أثناء الحفر في المنطقة السكنية بعمارة غرب العثور على مساحات واسعة يتناثر فيها قش القمح بكثافة، بما يؤكد أن السكان كانوا يخزنون منه كميات كبيرة وهو محتفظ بسنابله في مرحلة ما قبل الطحن، وتحولت أنماط استخدام النبات بشكل كلي، جنباً إلى جنب مع انهيار السيطرة المصرية على النوبة، حوالي ١٠٧٠ ق.م، وما تبعها من زيادة التصحر الإقليمي[٣٦].

وعثر في عمارة غرب على عدد كبير من الأختام من أيام الدولة الحديثة، بالشكل البيضاوي وعلى هيئة الجعران، كانت تستعمل لغلق أو خَتْم الأوعية والصناديق والوثائق المهمة التي تمت كتابتها على البرديات، أو حتى أيِّمن العناصر التي احتوت على معلومات أو مواد ثمينة، كما عثر على

بروز صغير في طمي الطين يحمل طابع الختم على أحد جوانبه، والوجه الآخر كان مختوماً بجزء من المادة التي تم غلقها، ربما كانت لفة بردي أو صندوقًا تم غلقه بواسطة شريط[٣٧].

ولدينا أيضاً حفائر جزيرة صاي (SAV1)التي استمرت حتى موسم عام ٢٠١٢م، (لوحة رقم ٤، ٥)، حيث قام فريق العمل Sailsland Archaeological Mission (SIAM) التابع لجامعة University Charles de Gaulle – Lille 3باستئناف العمل في الموقع، ابتداءً من موسم حفائر سنة ٢٠٠٨م، وظهرت نتائج طيبة للغاية، بعد جهد استمر لمدة خمس سنوات من العمل المركز والمنظم، برئاسة ديفوشيل (D. Devauchelle)، وإدارة دوين[٣٨](Florence Doyen)، وتمكن الفريق من الكشف عن عدة أدلة أثرية جديدة حول تأسيس الإدارة المصرية في النوبة العليا، واتخذوا الموقع ذاته كدراسة للحالة[٣٩]، حيث لم يكن تأثير أتباع كرمة في جزيرة صاي كافياً مع حملات الملوك الأوائل من الأسرة الثامنة عشرة[٤٠]، كما كانت جزيرة صاي موقع الاستيطان الرئيسي لثقافة كرمة في النوبة العليا، وباعتبارها مركزاً شمالياً لمملكة كرمة في موقع استراتيجي مهم جداً جنوب بطن الحجر في وداي حلفا، فمن المحتمل أن صاي كانت عقبة تعرقل التوسع المصري الذي لا يردع نحو الجنوب[٤١].

وتأكد لنا من خلال أعمال الحفائر الحديثة في أرجاء الموقع صدق توقعات فيركوتير في أن أحمس الأول هو مؤسس المدينة المصرية التي تم تشييدها على جزيرة صاي[٤٢]، وكذلك تأكدنا أنه أول من بدأ في تشييد معبد لآمون هناك[٤٣]، كما تشير عدة نصوص وأدلة أثرية في جزيرة صاي إلى نشاط أحمس، بما في ذلك تمثال له من الحجر الرملي، من المفترض أنه تم إقامته في المعبد المحلي الصغير[٤٤].

وتلاه في النشاط المعماري والاقتصادي أمنحتب الأول، ثم تواصلت بعدها أعمال المصريين بلا انقطاع في بناء مبان إدارية ومنازل بصورة

نموذجية[٤٥]، فضلاً عن توطيد العبادة المصرية، لبسط الملكية الإلهية، والتي كان من ضمن الأسباب الناجحة لإحكام السيطرة على المنطقة، مما دعم الاستفادة الاقتصادية منها[٤٦].

وأكدت الحفائر أن تحتمس الأول نجح في التوغل جنوباً حتى أعلى تومبوس، وأنه نجح في إخضاع كرمة بشكل مؤقت، وترك عدداً كبيراً من اللوحات التي تخلد ذكرى انتصاراته وأنشطته المادية والاقتصادية في النوبة العليا[٤٧].

وطبقاً لنصوص حاكم النوبة "نحي" *Nhy* نعلم أن تحتمس الثالث هو من أمر في العام الثالث والعشرين من حكمه ببناء المعبد الإلهي (Temple A) المشيد هناك من الحجر الرملي، وذلك فوق أطلال مبنى آخر قديم من الطوب اللبن[٤٨].

وأجرى فريق المشروع العلمي (Across Borders) التابع لمجلس البحوث الأوروبي European Research Council (ERC)أول موسم له في العمل الميداني في جزيرة صاي في عام ٢٠١٣م،برئاسة جوليا بودكا(Julia Budka)بفتح منطقة جديدة في القسم الشرقي باسم (SAV1East)من يناير إلى فبراير ٢٠١٤م، وبعدها تم عقد الموسم الثاني من العمل الميداني في القسم الغربي(SAV1West)حيث قاموا بتوسيع أبحاثهم، وركزوا على أمور أخرى على جدران المدينة، حيث أن إحدى خصائص ما يسمى بمدن المعابد في النوبة[٤٩]، هي وجود ما يطلق عليه "قصور الحاكم"(Governor's palaces) وتقع دائماً في الركن الجنوبي الشرقي من المنطقة المسورة، حيث تقع هذه البيوت الشبيهة بالقصر على مقربة من المعابد الحجرية في المدن، وعلى الأغلب فإنها تعمل كمقر للحاكم المحلي أو المسؤول الأعلى، وهو ما يتطلب نهج موقع محدد النظر في الطبوغرافيا المحلية وكذلك الجوانب الوظيفية للموقع (اعتماداً على تاريخ تأسيسها، وحالتها الخاصة، والمعابد المحلية، والمواقع النوبية المحيطة بها،

والمناطق الداخلية، وما إلى ذلك) أمر ضروري لفهمنا لهذه المباني الفخمة التي شيدت في عصر الدولة الحديثة[٥٠].

وركز الموسم الميداني الثالث في صاي على كل من القسمين الشرقي والغربي(SAV1 East) و(SAV1 West) وبدأ العمل الجديد في المقبرة SAC5، كما تم إغلاق موسم العمل الميداني الرابع الذي يعمل في جميع القطاعات داخل المدينة المشيدة أيام الدولة الحديثة، وأيضاً في المقبرة (SAC5) بنجاح في مارس ٢٠١٦م.

وأكدت الحفائر في موقع(SAV1)الشمالي أن إقامة السور الحصين للمدينة هو من أعمال الفرعون تحتمس الثالث[٥١]، وذلك كله من أجل توطيد الوجود المصري في موقع اقتصادي وسياسي بالغ الأهمية في منطقة النوبة العليا، يحتاج بكل تأكيد على إحكام للسيطرة بشكل كامل، كما أنه لم يثبت حتى الآن تشييد مبان مصرية كبيرة الحجم في النوبة العليا قبل عهد تحتمس الثالث[٥٢].

وفي خلال أعمال الحفائر تم في تسجيل ما مجموعه ٢٣٩٧ قطعة أثرية مختلفة من موقع(SAV1)الشمالي، و١١٢٨ قطعة من موقع(SAV1) الشرقي، و٦٠٢ قطعة من موقع(SAV1) الغربي،(لوحة رقم ٦، ٧)، وتم استخلاص كميات كبيرة من المواد الخزفية يومياً، الأمر الذي يشهد على استخدام الهياكل في الموقع الشمالي(SAV1N)وقد قورنت نتائج حفائر الموقع مع مكتشفات مواقع أثرية أخرى في مصر، مثل منف[٥٣].

أما آخر أعمال الحفائر بالموقع، والتي أجريت في الفترة من يناير وحتى مارس ٢٠١٧م، فقد أسفرت عن اكتشاف جديد قالت البعثة أنه مهم، ويتعلق بدفن رئيس عمال الذهب المدعو "خنوم موسى"، ولكن مع الأسف فإن تلك النتائج لم تنشر بعد ليتسنى لنا الاطلاع على ما جاء فيها وتحليله[٥٤].

وإن كان ما يزال ينقصنا المزيد من التفصيلات الدقيقة عن الأمر، حتى تكون الحقيقة أكثر وضوحاً، والمعلومات أعلى دقة، وبخاصة فيما يتعلق بأمور محددة؛ مثل تعداد المحاصيل الزراعية الجنوبية، وكميات السلع المتداولة، وأيضاً قوائم الجزية التي كانت ترد بانتظام لمقر العاصمة طيبة، علاوة على التجارة التي تسببت في تحولات وتفاعلات اجتماعية وسياسية[٥٥]، حيث ما تزال رمال النوبة تخبئ الكثير من الأسرار غير المكتشفة[٥٦]، وحيث هناك حاجة مستمرة إلى كل التسجيلات التفصيلية للآثار القديمة فوق سطح الأرض، وذلك باستخدام أساليب التصوير الحديثة، والتحقيق المنهجي للأنواع والمباني التي لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق التنقيب[٥٧].

وإن كانت أحوال النوبة الاقتصادية بدأت تتضح لنا بداية من عصر الدولة القديمة، وبخاصة أن النوبة السفلى قد استعمرت، ووجد المصريون سهولة في استغلال ثروتها المعدنية العظيمة، ومن بينها النحاس، الذي كانوا على أيام الأسرتين الرابعة والخامسة يصهرونه في أفران منظمة، ما تزال بقاياها محفوظة حتى الآن في بوهن[٥٨]، علاوة على اكتشاف المصريين هناك لمنابع حجر الديوريت، ومن أجل أهميتها فقد عملوا على تحسين وسائل المواصلات مع النوبة، ونتذكر رحلة "أوني" وأيضاً رحلات "حر خوف" الأربع لاكتشاف أرض النوبة[٥٩].

وفي الدولة الوسطى تزايدت مكانة النوبة الاقتصادية عند ملوك مصر الذين شيدوا بها حصوناً وقلاع من أجل تأمين حدودهم ومناطق نفوذهم[٦٠]، ونستطيع أن نستنتج أهمية النوبة وقتها من خلال قوائم الجزية المنقوشة على جدران عدد من المعابد المصرية، فضلاً عن السلع المصورة على جدران المقابر، وبخاصة مقابر الموظفين المصريين الذين كانوا مسئولين عن إحضارها للملك[٦١].

وأما في عصر الأسرة الثامنة عشرة، فإن المهام الإدارية والدور الذي تلعبه المؤسسات تغير مع مرور الوقت وأدى إلى إمكانيات مفتوحة، وهياكل

إدارية، وفي النهاية توزيع السلطة والمهام التي تجعل من المستحيل فرض وجود إدارة مصرية واحدة بعد أن احتفظت ببنية أساسية واحدة ومبادئها التنظيمية على مدى آلاف السنين[٦٢].

وبعد إعادة إعمار النوبة وتأسيس السلطة المصرية في النوبة العليا[٦٣]،أصبحت اقتصاديات النوبة تبدو أكثر تعقيداً عما كانت عليه من قبل، وقد وصلتنا أدلتها في صورة آثار ونقوش[٦٤]، ولذلك فقد قامت الإدارة المصرية عقب بسط النفوذ المصري على الإقليم بتعديلها، لكي تتماشى مع النظم الاقتصادية السائدة في المملكة المصرية[٦٥]، وعلى وجه التحديد لأن شرعية وهيمنة ملوك طيبة وسيطرتهم على النوبة ارتبطت بالرباط الديني[٦٦]، علاوة على الدور الاقتصادي الزراعي الذي قامت به المعابد في الدولة الحديثة[٦٧]، كما تم تشييد مدن مصرية ارتكز تخطيطها على المعابد عند صولب وسيسبي وصاي[٦٨].علاوة على أنهلا يمكننا أن نغفل أن الحصون والمعابد التي شيدت مثل صاي وسيسبي وصولب وعمارة غرب جميعها تتبع من طور واحد، هو أنه لا يوجد خصم أو منافس حقيقي في كوش لكي يتحدى الهيمنة المصرية[٦٩].

وفي مطلع الأسرة الثامنة عشرة عُين للنوبة موظفاً مصرياً يحكمها[٧٠]، حمل لقب *"ابن الملك، المشرف على الأراضي الجنوبية" r-(y)mswin 3s* *ḫ3swt rsyt* فكان بحكم منصبه نائباً للملك في كوش، ومنذ عصر تحتمس الرابع سيصبح اللقب *"ابن الملك في كوش" Ks n wsn 3s*[٧١]وكان يعينه الملك مباشرة[٧٢].

وعهد بالإشراف على كل إقليم من إقليمي النوبة إلى نائب عن الحاكم، كان يحمل المسمى الوظيفي *idnw* ويتم اختيار النائبين من بين النخبة من أفراد الأسرة المحلية[٧٣]، وهذه الوظيفة على ما يبدو متشابهة تقريباً مع وظيفة الوزير في مصر[٧٤].

وابتداءً من مطلع عصر الأسرة الثامنة عشرة وجدنا ملوك طيبة يعتبرون النوبة بكاملها، مصدراً للأيدي العاملة[٧٥] وكذلك للماشية والمعادن[٧٦]، علاوة على أن مصر قد دفعها إلحاح متطلبات الري إلى أن تطور بالتدريج نظاماً ملكياً على درجة عالية من المركزية، لأن وجود سلطة مركزية قوية كان هو الوسيلة الوحيدة لإرغام السكان عند الضرورة على أداء المهام الجماعية التي لم يكن من أدائها بد؛ لجعل وادي النيل الأدنى برمته قابلاً للزراعة، مثل بناء الجسور الموازية للنهر وصيانتها، وتسوية الحياض وشق القنوات، وتشييد السدود[٧٧]؛ حتى يمكن الانتفاع على أفضل وجه ممكن بمياه الفيضان ذات المنسوب الدائم التغير[٧٨].

وبالرغم من استمرار الأهمية المادية والاقتصادية لكل من الرعي والصيد، وبخاصة في المناطق غير الخصبة، فإن جانباً كبيراً من القطيع ومن ناتج الصيد كان يخصص بشكل إجباري للحكومة المصرية، وللمعابد الدينية،كما أن النظام القبلي النوبي الذي وضع من قبل نظام ملكية الأراضي قد استبدل في هذه الحقبة التاريخية ليحل محل نظام الإقطاعيات المصري، والذي يؤدي إلى خلق طبقات متفاوتة في المجتمع، وهكذا فقد وجد معظم النوبيين أنفسهم يعملون في أراضي يمتلكها الفرعون نفسه أو أمراء محلين أو رجال الإدارة الحكومية.

ومن ناحية اقتصادية أخرى، فإنه إضافة إلى العدد الكبير من المعابد التي تم تشييدها بالنوبة، فإنه كان هناك معابد أخرى بمصر أوقفت عليها إقطاعيات كاملة أو أجزاء من إقطاعيات من الأراضي النوبية وحق الانتفاع الكامل بإنتاجها، وكذلك فقد استفادت المعابد المصرية من الإدارة والتدابير التي اتخذها ملوك طيبة وحكام الأقاليم الخاضعين لسلطتهم من أجل منح وإعادة تنظيم الأصول التي كانت ترد من عدة معابد في أقاليم مصر العليا[٧٩].

وعلاوة على ذلك، فقد أصبح للنوبة أهمية مادية واقتصادية فائقة بعدما أقر الفراعنة الضرائب وفرضوها على كامل الإقليم، عقب بسط سيطرتهم عليه، والتي امتدت حتى منطقة الجندل السادس[٨٠]، بصفته واحداً من صلب الأقاليم المصرية التي تفرض عليها الضرائب[٨١]،ويضاف إلى ذلك أن جميع السلع والمنتجات التي كانت تشتريها مصر من النوبة أصبحت تصل دون مقابل يذكر[٨٢]، ومن هنا فلم يعد للوسطاء النوبيين أي دور في ذلك الأمر، كما كان يحدث من قبل على مدى امتداد العلاقات التجارية بين مصر والنوبة منذ أقدم العصور حتى هذه الفترة[٨٣]، وتلاشى وجود هؤلاء الوسطاء فيما بعد بشكل تام، وبالتالي فقد أدى ذلك إلى زيادة هائلة في نسبة الأرباح التي تدخل إلى الخزانة الملكية بشكل واضح[٨٤].

صادرات النوبة إلى مصر:

كانت السلع والمنتجات والمواد التي اشتهرت النوبة بتصديرها إلى مصر، تصل غالباً في صورة ضرائب أو جزية، وكما أمدتنا الآثار، فإننا نجد الذهب[٨٥] هو الأكثر قيمة وأهمية بالدرجة الأولى، وبحيث يتربع على رأس القائمة، فقد كانت النوبة السفلى تسترعي اهتمام المصريين بسبب إنتاجها من الذهب[٨٦]، الذي غدا على رأس المصالح الاقتصادية لمصر[٨٧]،ويليه مباشرة العاج وهو سن الفيل[٨٨]، ثم خشب الأبنوس، ويرد ذكرهما دائماً في النقوش جنباً إلى جنب، لكونهما يستخدمان في التطعيم وفي صناعة الخشب معاً[٨٩]، والذي رأينا من خلال حوليات تحتمس الثالث أنهما كانا يوردان بوجه عام بصفتهما جزية، فقط من كوش، وذلك على عكس واوات، ولكن يحتمل ذلك في السنة الحادية والأربعين، وكذلك في السنة الثانية والأربعين جاء ذكرهما مع محاصيل بلاد النوبة السفلى، وخلافاً لذلك نجد أنهما يذكران بوجه عام بمناسبة الأقطار التي أتيا منها، مثل واوات وكوش وكذلك بلاد "أثرو" في كوش، والتي جاء ذكرها مرة واحدة فقط[٩٠].

وهناك أنواع أخرى من صادرات النوبة تشمل بصفة خاصة العبيد الذين كانت مصر في حاجة إليهم، وبخاصة الذكور، لاستخدامهم كعمال؛ يقومون بالمساعدة في تنفيذ أعمال البناء والمشروعات الكبرى في الأقاليم المصرية[٩١]، وتحديداً من الرجال الأشداء ذوي البنية القوية، الذين كان يتم إحضارهم من مناطق تقع جنوبي الجندل الرابع، وهو ما أكدته نتائج الدراسات الأنثروبولوجية[٩٢].

ونجد كذلك ضمن الصادرات الأخشاب الجيدة، وبخاصة خشب السفن المعد للتركيب[٩٣]، وريش النعام الذي يستعمل حلية في لباس الرأس وفي صنع المراوح والوسائد، وكذا بيض النعام الذي استعمل منذ أقدم العهود كخرز، وله استعمالات أخرى متعددة، وظل يستعمل طوال أيام الأسرة الثامنة عشرة، ولكن بشكل محدود عما كان عليه قبل، على أنه كان مادة مهمة تستوردها مصر، ثم تعيد تصديرها للخارج[٩٤].

ونجد أيضاً الزيوت، والصمغ، والعطور، وكذلك الأحجار الكريمة التي تتمثل اليوم في آثار مصرية يدوية رائعة الصنع وكثيرة العدد، توجد في الداخل والخارج، وعلى رأسها العقيق الأحمر، والفيروز، واليشب الأخضر، وكذا الملاخيت Malachite، والأمتيست Amethyst وهو الأرجوان أو الجمشت البنفسجي[٩٥]، وحجر الدم أو الهيماتيت[٩٦] Hematite، والفلسبار Feldspar الأبيض والأزرق ويسمى حجر القمر، وهو غير الفلسبار الأخضر المعروف بحجر الأمازون[٩٧].

بالإضافة إلى أنواع مختلفة من الحيوانات والطيور صديقة الفلاح، مثل الأبقار والثيران (لوحة رقم ٨)، والماشية الصغيرة، وأيضاً الغزلان، والماعز، وطير إبيس، والنعام وبيضه الذي طالما استخدمه المصريون في صناعة الخرز[٩٨]، وريش النعام الذي استخدم لصناعة المراوح، وأيضاً كحلية في غطاء الرأس، وكوسادات في القصور وبيوت النبلاء[٩٩]، والنمور وجلودها التي يلبسها الكهنة ويغطى بها الأثاث الفاخر، وكلاب الصيد، والفهود التي

كانت تورد إلى مصر منذ أيام الدولة القديمة، وكان يتم تدريبها من أجل أعمال ومهام الصيد والقنص، واستخدمت جلودها في أيام الأسرة الثامنة عشرة كملبس زينة للكهنة[١٠٠]، ولدينا كلاب الصيد، التي ارتبط بها المصري ارتباطاً خاصاً، لدرجة قيامه بتحنيطها ودفنها إلى جوار مقبرته[١٠١].

وتشمل صادرات النوبة أيضاً القرود والنسانيس[١٠٢]،التي ظهرت في الكثير من مناظر الاحتفالات والأعياد المصرية، وأيضاً كانت تعيش أحياناً في المنازل، وتميزت القرود المستوردة من مناطق الجنوب بأنها مختلفة في ألوانها، أشهرها ما هو رمادي بوجه أحمر، وأحياناً كانت تورد نسانيس ذات شعر كثيف[١٠٣].

كما نجد في أكثر من منظر تصوير للزراف[١٠٤]الذي بدأ تصديره حياً لمصر ابتداءً من أيام الأسرة الثامنة عشرة، وكان يأتي ضمن قوائم جزية كوش فقط، مثلما ظهر في مناظر مقبرة "حوي"[١٠٥]، حاكم النوبة في عهدي أمنحتب الرابع وتوت عنخ آمون[١٠٦]، والتي نجد فيها كذلك مناظر لأقواس وكنانات صغيرة من الجلد توضع فيها السهام، وأيضاً سهام كاملة ودروع، وكراسي بظهور وأخرى بدون، وسرائر، ومساند رأس، وعربة بعمود في هيئة تمثال عبد، ومحفة، ومائدة للزينة لها قاعدة ومسند قدم، ومروحة مصنوعة من ريش النعام، وجميعها مجهزة ضمن مواد الجزية الأخرى التي تقدم أمام الملك[١٠٧](لوحة رقم ٢، ٣).

وفي أواخر عصر الأسرة الثامنة عشرة تقريباً، كان كل ما تنتجه النوبة من السلع والمنتجات الخشبية والجلدية وبعض المنتجات المعدنية، يرسل بكامله إلى مصر، وكان من بين هذه المنتجات كراسي خشبية وأسرة وأرائك ومناضد، وكذا دروع وأقواس ورماح، وأوان معدنية متنوعة، ويحتمل أيضاً أن النعال الجلدية كانت ضمن المنتجات المصرية أيضاً.

وبينما كان للنوبيين دورهم في إنتاج وصناعة السلع المصدرة إلى مصر، إلا أن صناعتها جاءت في معظمها تقريباً على الطراز المصري

المميز، بما يؤكد أنها كانت من صنع، أو على الأقل تحت إشراف، حرفيين مصريين مقيمين بالنوبة[١٠٨].

وعلاوة على ما تقدم، فتجدر الإشارة إلى أن أنواعاً مختلفة من الغلال والحبوب كانت قد سجلت ضمن قوائم الضرائب المحصلة من واوات وكوش[١٠٩].

إنتاج النوبة من الذهب[١١٠]:

اشتهر ملوك الأسرة الثامنة عشرة بين جيرانهم من الملوك، وبخاصة في شرقي البحر المتوسط، بامتلاكهم لمصادر الذهب الواسعة[١١١]، والتي تزايد إنتاجها كثيراً في هذه الفترة[١١٢]،وكانت شهرتهم قد ازدادت بازدياد سيطرتهم على هذه المصادر[١١٣].

وفي مصر كان الذهب يعتبر من أهم العناصر التي يشتمل عليها الأثاث الجنائزي للملوك والنبلاء والأثرياء، إضافة لما عرفناه من الاستخدامات الدنيوية المتعددة للذهب، مثل تقديمه كهبات للمعابد، واستعماله في صنع القلائد والأساور وأنواع المختلفة من الحلي، وفي عمل التماثيل الصغيرة التي كانت تصنع من الذهب الخالص، والتماثيل الخشبية، والأثاث المغطى بطبقة من رقائق الذهب، إلى آخره من الاستخدامات الشائعة، وكذا فقد كان الفراعنة يقدمون القلائد الذهبية الجميلة كهدايا عينية للأقرباء من الأمراء والأميرات وللمقربين، ومن أشهر ما وصلنا اليوم من ذلك هو المقتنيات الفنية البديعة من مقبرة توت عنخ آمون.

ويعد الذهب واحداً من أبرز صادرات كوش إلى مصر أيام الأسرة الثامنة عشرة[١١٤]، حتى أن النصوص المصرية كانت كثيراً ما تطلق على النوبة اسم "تا نبو" *T3 nbw* بمعنى أرض الذهب، و"خاسوت نبو" *ḫ3swt nbw*أي بلاد الذهب[١١٥].

وابتداءً من عهد الأسرة الثامنة عشرة تم تشييد عدد من المدن المصرية، تقع جميعها بالقرب من مصادر المعادن الثمينة، مثل تلك التي

تواجدت بالقرب من رواسب كبيرة من صخر الكوارتز الحامل لمعدن الذهب عن دسيسبي[١١٦].

وفي هذه الفترة، برزت الهيمنة المصرية بوضوح في مناطق النوبة السفلى وكذلك شمالي النوبة العليا[١١٧]، وبخاصة بعد أن بسط تحتمس الثالث نفوذه حتى منطقة الجندل الرابع، ويلفت نظرنا هنا ما جاء في نص لوحة جبل برقل[١١٨] التي أقامها الفرعون نفسه، وهي أقدم نقش من الأسرة ١٨ وجد حتى اليوم بهذه الجهة، إذ ذكر فيها توريد بعض الأشياء المصنوعة من أخشاب كوش، وقد عمل نجارتها جنود كوشيون هناك، ومن ثم فإننا نفهم صراحة أن المصريين كانوا يحضرون المواد الخام من النوبة، وأن الأعمال الخشنة كانت تنفذ فيها، في حين أن الأعمال الفنية الدقيقة مثل الزخارف الفنية كانت تنجز في مصر.[١١٩]

واستمرت سيطرة مصر لمدة تعادل ستة قرون كاملة، اعتنق فيها النوبيون الديانة المصرية، وعبدوا آلهتها، وتثقفوا بثقافتها، وتحولت المجموعة ج (C Group)نحو الحياة المصرية الخالصة[١٢٠]، بما في ذلك عادات تحنيط الموتى والدفن في توابيت[١٢١] (لوحة رقم ١١)،بعد أن كانوا يدفنون الموتى بوضع كل واحد منهم داخل المقبرة على سرير من الخشب بدون تحنيط، وفي داخل منطقة الدفن في كرمة عثر على عدد من المقاصير، بنيت جميعها من الطوب، وعليها رسوم ملونة، وهي أماكن خصصت لإقامة الطقوس والشعائر الدينية[١٢٢]، وهكذا حتى صار الإقليم مع نهاية عهد الأسرة الثامنة عشرة بما لا يرقى إليه شك، جزءاً لا يتجزأ عن مصر[١٢٣].

وهكذا حصلت مصر على نصيب هائل من إنتاج ذهب النوبة، ولذلك فإنه حتى وإن كانت الرغبة في استغلال مناجم الذهب بالنوبة لم تكن واحدة من أسباب فرض النفوذ المصري على الإقليم، فإن أهمية الذهب لابد وأنها كانت من ضمن مقومات التمسك المصري بالحفاظ على السيطرة التي فرضت بالفعل على النوبة.

وهكذا، فقد تحملت مصر وحدها مشقة التوسع في إنتاج الذهب ومضاعفته في النوبة، وورد في النصوص المصرية أسماء أماكن عديدة بالنوبة كان يستخرج منها خام الذهب، مثل: جبل برقل الذي يوجد فيه الذهب[١٢٤]، وكذا أنواع من الأحجار الكريمة[١٢٥]، وجبل "عمو"، وجبل "كوش"، وجبل "خاست"، وجبل "خنتحننفر"[١٢٦]، وجبل "يابتخريحب"، والجبل الطاهر[١٢٧] "زووعب" في منطقة أبو سمبل[١٢٨].

وليس هناك من شك في أن المعدن الرئيسي الأول بالنوبة وقتذاك كان بدون منازع هو الذهب، وكانت مناجمه كثيرة ووفيرة الإنتاج إلى حد كبير، ويلاحظ أن معظم المناجم التي تم استعمال إنتاجها كانت قريبة من وادي النيل، وكان استغلالها قد بدأ منذ أيام الدولة الوسطى، وإن كان ليس لدينا تفاصيل دقيقة عن خامات الذهب في كوش، ولكن ربما تشير كميات الذهب الموجودة في بوهن إلى أن هذه المناجم كانت مستغلة منذ فترة أقدم، ربما ترجع لعصر الدولة القديمة[١٢٩].

ولكننا نتوقف هنا بعض الشيء، حيث نرى أن التقدير الحقيقي لكميات الذهب التي كانوا يستخرجونها من المناجم وقتذاك، إذا ما قارناها بحساباتنا السائدة اليوم، فإنه لا يقدم لنا نسبة أكيدة ودقيقة، وذلك لأننا ما نزال لا نعرف حتى الآن ماهية القيمة الشرائية للذهب في هذا العهد على وجه التأكيد، وهي النقطة المحورية التي تحدد لنا المكانة الاقتصادية الحقيقية.

على أن الجانب الأكبر من إنتاج الذهب بالنوبة كان يأتي من مناجم تقع في الجزء الأعلى من وادي العلاقي[١٣٠]، وتشير الدلائل الأثرية إلى أن استغلال مناجم الإقليم في عصر الدولة الحديثة كان أكثر منه بشكل كبير في عصر الدولة الوسطى، وتدل شواهد الآثار على أن الاستغلال الواسع للمناجم في عصر الأسرة الثامنة عشرة يعزى إلى توسع الملوك في حدودهم نحو الجنوب[١٣١]، وهو ما اضطرهم إلى استخدام أعداد كبيرة من العمال،

بالإضافة إلى القوات العسكرية التأمينية من الجنود المرافقين لهم طالما المهام مستمرة[١٣٢].

ونلاحظ هنا من خلال النصوص والوثائق المتكررة أن عدداً غير قليل من الأنشطة العسكرية التي وجهها الفراعنة ضد إقليم النوبة كانت برغبة جامحة منهم لأجل تأمين مناجم الذهب، وكذا غيرها من مصادر الثروات الطبيعية، التي ظهر أثرها في انتعاش وازدهار الاقتصاد المصري في ذلك العصر[١٣٣]، بل أنه يظهر لنا من خلال المصادر أن ذهب النوبة كان يقوم بالدور الأهم في مالية البلاد[١٣٤]، وأن مرور الجيوش في النوبة السفلى في طريقها إلى ساحة القتال في الجنوب، إلى جانب زيادة عدد المستعمرين المتصلين بالجيش والمحطات التجارية، سرعان ما كان له أثره في اعتقادات وأسلوب عيش أهل المنطقة[١٣٥].

ولم نجد حتى الآن خريطة لمناجم الذهب في مصر على أيام الأسرة الثامنة عشرة، حيث ما تزال تلك المحفوظة في متحف تورينو بإيطاليا، هي أول خريطة لمناجمه، وترجع لعصر الفرعون سيتي الأول[١٣٦]، على أنه بالتأكيد فقد كانت كميات الذهب المستخرجة من واوات تختلف عن تلك المستخرجة من كوش[١٣٧].

وتوسعت عمليات تعدين الذهب خلال الأسرة الثامنة عشرة على نطاق أكبر في مناجمه بالنوبة بشكل لم يسبق من قبل، وبالتالي فقد ترتب على ذلك تغيير مهم في طرق المعالجة للمادة الخام وأيضاً في أساليب التنقيب، والأهم من ذلك هو إدخالهم المطحنة في مراحل عملية التعدين، وهي التي سمحت لهم باستغلال متزايد لأنظمة عروق الكوارتز، وهناك علاقة قوية بين صناعة تعدين الذهب في مصر القديمة في عبري–دلقو – ريش الوصول ومعابد الدولة الحديثة في المنطقة[١٣٨]، وبالفعل فإن أعمال الحفائر الأثرية الحديثة في المواقع المذكورة، أثبتت ذلك من خلال العثور على عدد

غير قليل من المطاحن، معظمها سليم وفي حالة جيدة من الحفظ، وأيضاً عثر على أحجار الطحن التي تناسب إنتاج مسحوق الكوارتز[١٣٩].

ولاشك في أنه في النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة حدث تطور فني ملحوظ في الأساليب التي يستخرجون بها الذهب من مناجمه[١٤٠]، فمن خلال الفحص الدقيق للمواقع التي كانوا يستخرجون منها خام الذهب في صحراء شرق مصر وأيضاً في النوبة، فنحن متأكدون اليوم إلى حد كبير من أن هؤلاء المنقبين كانوا على درجة كبيرة من الدراية بالجيولوجيا، لأن حفرهم بالمواقع لم يكن في أي منها عشوائياً، ومن الناحية الفنية، فقد كانت عملية استخراج الذهب واستخلاصه تتطلب تحطيم عروق الكوارتزيت باستخدام النار، ثم تأتي مرحلة ثانية يتم فيها صحن العروق حتى تتحول إلى مسحوق ناعم، وفي المرحلة الأخيرة كانت تستخدم طرق فنية لاستخلاص مسحوق الذهب الخام بفصله عن مسحوق الكوارتزيت[١٤١]، (لوحة رقم ٩).

وكانت البعثات التعدينية تعتمد في أسفارها بشكل رئيسي على الحمير لنقل المياه والغذاء من وادي النيل إلى مواقع العمل، ويبدو أن عمليات التعدين في النوبة كانت في هذه الفترة شديدة الصعوبة، حتى أنه ليمكن تشبيه جهد العمال فيها بما يبذله الجنود المحاربون أثناء المعارك، فقد كان رجال البعثات التعدينية ومرافقوهم من القوات الحامية يواجهون مشقة وطول الطرق والدروب عبر الوديان، والتي كانت محفوفة بالمخاطر الطبيعية والبشرية حينما تتعرض قوافلهم لهجوم من حيوانات ضارية أو من لصوص قاطعي طريق، وكذلك من خلال المعاناة من أشعة الشمس ولهيبها، وأيضاً نقص أو انقطاع موارد المواد في حال نفاذ ما معهم منها.

ولم يكن من الغريب أن الفراعنة قد أسندوا جانباً كبيراً من هذه الأعمال الشاقة والخطرة إلى أعداد كبيرة من الرجال الأشداء ذوي القوة الجسدية، وبخاصة من أسرى الحروب ومن الرقيق[١٤٢]، على أنه كان من

حسن حظهم أن مثل تلك الأعمال كانت تتم بصورة متقطعة غير متصلة لاستخلاص كميات الذهب المطلوبة فقط.

وتدل الشواهد على أنه كانت هناك مرحلة إضافية من مراحل استخلاص الذهب، كانت تتم في قلعة كوبان[١٤٣]، التي أعيدت في عصر الدولة الحديثة كمنطقة خاضعة للنفوذ المصري بعد أن هجرها السكان في عصر الانتقال الثاني[١٤٤].

وكان إنتاج الذهب في كوش في عصر الأسرة الثامنة عشرة أقل بشكل كبير من مثيله في واوات، بنسبة تقدر بحوالي واحد إلى عشرين، ومن أجل استخلاص مادة الذهب الخالص، فإن معظم عروق الذهب الخام كان يتم فصلها عن التراب العالق بها عن طريق غسلها بالمياه العذبة على امتداد شاطئ النيل، في المنطقة الممتدة بين كل من الجندلين الثاني والثالث[١٤٥].

وقد عثر في منطقة الدويشات، الواقعة جنوبي سمنة مباشرة[١٤٦]، على حفر ودهاليز تشير إلى حدوث نوع من أنواع التعدين بالمنطقة، يماثل تقريباً ذلك النوع الذي كان في منطقة الصحراء الشرقية، حيث كانوا يتبعون نفس الأسلوب السائد هناك[١٤٧]، وأن موقع "الدويشات" القريب من شاطئ النهر يجعل منها مكاناً مناسباً وآمناً لتعدين الذهب أكثر من تلك المناطق شديدة الخطورة التي في الصحراء الشرقية والتي يعاني رجال البعثات من صعوبة ومشقة الوصول إليها بشكل قاطع[١٤٨].

وعلى أية حال، فقد توسع ملوك الأسرة الثامنة عشرة في استخدام معدن الذهب بشكل ميز عصرهم، وكان توسعهم في استخدامه وازدياد طلبهم عليه بشكل مضاعف خلال هذه الفترة، لدرجة أنهم استنزفوا مواقعه الأكثر قرباً من وادي النيل، والتي تميزت بغزارة وجودة إنتاجها، منذ النصف الثاني من عصر الأسرة[١٤٩].

وعلمنا من خلال نقوش أمنحتب الثالث أنه أحضر ذهباً في حملته الأولى من "كاراي" إلى مصر، وكذلك ذكر ذهب "عمو" في وثائق أخرى من عهده[١٥٠].

وأيضاً ذكرت وثائق حتشبسوت[١٥١] ذهب النوبة[١٥٢] الذي أحضره أمير بلاد "ميو" و"إرم"، حيث تدل ملامح أهل "ميو" على تقاطيع زنجية واضحة، وذكرت "إرم في حوليات تحتمس الثالث ضمن إدارة كوش[١٥٣]، كما ذكرت النقوش عربة كبيرة من خشب السنط من كوش مشغولة بالذهب، وردت ضمن الجزية المقدمة لحتشبسوت[١٥٤].

وعن شرعية البحث والتنقيب عن الذهب في عصر الأسرة الثامنة عشرة، فإنه لدينا كل الأسباب للتسليم بأن استخراج الذهب من مناطقه التي كانت في الصحراء الواقعة شرقي بلاد النوبة كان احتكاراً حكومياً، والأمر الواقع هو أنه تنقصنا المصادر الصريحة عن استخراج الحكومة المصرية للذهب في جبال "وادي العلاقي"[١٥٥]، ولكن إذا كنا في شك من هذا فيجب علينا إذاً أن نتطلب من باب أولى مصادر أكيدة لكل كيان الحكومة المصرية في العصر الفرعوني لمعارضة ذلك، وقد ذكر في نقوش الرديسية عن أعمال مناجم الذهب الواقعة شرقي إدفو أن استخراج الذهب منها كان مصرحاً به للحكومة أو للمعابد[١٥٦].

وقد أمدتنا مقابر حضارة كرمة إلى الشمال من دنقلة[١٥٧]، على الرغم من أحجامها وكثرة نهبها قديماً في العصور المختلفة، بعدد ليس بالقليل من المصنوعات الذهبية[١٥٨]، مما يدل على أن الذهب كان يستخرج بكميات كبيرة من مناجم كوش قبل قيام الدولة الحديثة[١٥٩].وبينت الآثار التي كشفت عنها حفائر يونكر في كرمة تأثر مظاهر الحضارة هناك في كثير من الأشياء بالحضارة المصرية إلى حد بعيد[١٦٠]، وإن كانت المدنية في لبها سودانية أصيلة[١٦١]، وكذا كشف هذا الموقع عن عدة نقاط في الرمال وبعض التركيزات المرصوفة بالحصى وبعض القبور[١٦٢].

وكشفت حفائر البعثة المشتركة لجامعتي هارفارد– بوسطن الأمريكية في كرمة برئاسة جورج رايز نر[١٦٣](١٩١٣ – ١٩١٦م)،النقاب عن مدينة صغيرة، تقع على الضفة الشرقية للنيل على بعد ٢٥كم جنوبي الشلال الثالث، وتتميز هذه المنطقة بخصوبة الأرض وامتداد الرقعة الصالحة للزراعة التي تصلها مياه الفيضان المحملة بالطمي كل عام.

وإضافة لهذا الموقع فقد اكتشفت مواقع كثيرة توجد بها جبانات ومقابر من حضارة كرمة، لعل أهمها وأكبرها موقع جزيرة صاي، في منتصف الطريق تقريباً بين الشلال الثاني والثالث[١٦٤]، أما المواقع الأخرى فمعظمها جبانات صغيرة كتلك التي في فاراس، ودبيرة، وأبوصير، وتوماس وميرجيسا وسرة شرق[١٦٥].

وهناك أدلة متزايدة اليوم على أن وقوع اختيار الإدارة المصرية أيام الدولة الحديثة على منطقة عبري–دلقو– ريش باعتبارها مناطق خام غنية بالذهب لم يكن عشوائياً، وإنما كان له أهمية فائقة في وظائفها آنذاك[١٦٦]، كما تظهر أدلة من تومبوس وعمارة غرب صورة مماثلة، وكذلك فقد كان لجزيرة صاي ميزة الوصول المباشر إلى خامات الذهب، وربما لعبت دوراً في تعدين الذهب في الدولة الحديثة[١٦٧].

تواصل أعمال الحفائر الأثرية:

لا تزال الحفائر في كرمة مستمرة حتى اليوم، حيث اهتمت البعثة السويسرية برئاسة شارليبونيه (Charles Bonnet) بشكل ملحوظ بالمواقع المدنية، ولكنها لم تهمل الجبانة والأجزاء الأخرى التي لم يتم التوسع في حفرها في وسط وشمال الجبانة.

وكذلك كانت جامعة ليل الثالثة (Lille III)متواجدة في السودان لأكثر من خمسين عاماً من النشاط العلمي، من خلال التعاون الوثيق مع دائرة الآثار السودانية، والمشاركة الفعالة في تطوير هذا النظام في فرنسا وحول العالم، من أجل المساهمة في تعريف العالم بوجود تراث أثري مهم، والعمل

على الحفاظ عليه، والسماح بمعرفة أفضل لتاريخ المنطقة، بعد تاريخ موجز للبعثات الأولى التي أعادت اكتشاف النوبة، وقد ساهمت في حفظ التراث والآثار السودانية، وانتقل المرء من البحث شبه الحصري عن الإرث المصري إلى الاهتمام المتزايد بالثقافات المحلية للنوبة[١٦٨]، وتم انتقاء ما يقرب من ٢٥٠٠ قطعة أثرية مختلفة، من ضمنها تماثيل وبرديات وأوان فخارية عديدة وأختام، ترجع إلى العصر المتوسط الثاني وعصر الدولة الحديثة، تمثل تجسيداً حياً للنشاط الحضاري والمادي، ثم نقلت جميعها إلى متحف الفنون الجميلة في ليل (Palais des Beaux-arts de Lille) بهدف الحفاظ عليها في صورة أفضل[١٦٩].

وهناك حفائر حديثة منظمة ومهمة قامت بها البعثة الفرنسية في أواخر القرن العشرين برئاسة بريجيت جراتين (Brigitte Gratien)في جزيرة صاي، أعقبها إعادة تقييم للوضع برمته، بعد الكشف عن العديد من اللقى الأثرية المهمة، سواء من الأواني الفخارية والأختام وأدوات الزينة وغيرها، ووصولاً إلى بقايا المباني والجدران.

وتوصلت البعثة بعد دراساتها المتأنية للمقابر ومحتوياتها في كرمة إلى عمل تحقيب تاريخي(Chronology) مقبول في مجمله، اقترحوه للمراحل الزمنية المتتابعة لحضارة كرمة، ليصبح لدينا الآن أربع مراحل متواصلة في عمرها لهذه الحضارة، وهي بالتتابع: حضارة كرمة القديمة (٢٥٠٠-٢٠٥٠ق.م)، وتتبعها كرمة الوسطى (٢٠٥٠-١٧٥٠ق.م)، ثم كرمة الكلاسيكية (١٧٥٠-١٥٧٥ق.م)، وانتهاء بحضارة كرمة المتأخرة (١٥٧٥-١٥٠٠ق.م)[١٧٠].

وتشير نتائج الحفائر المشتركة للبعثة السويسرية الفرنسية السودانية في يناير ٢٠١٦م بموقع "دوكي قيل"[١٧١]في كرمة إلى اكتشاف أختام كثيرة، وحصون دائرية وأبراج ذات قطر كبير أمام قاعة ضخمة، وتتميز تلك الحصون بمداخل ذات ثلاثة أروقة مؤدية إلى داخل المدينة باتجاه مبنى

دائري ذي مساحات ضخمة، ويبلغ طول البوابة٢٣م وعرضها ٣٢م من الطوب الأخضر اللِبن، أما البوابة الأمامية فهي بارتفاع ١٠٠م، مما يجعلها واحدة من أكبر البوابات المعروفة في التاريخ[١٧٢].

ولعل الشيء الأبرز الذي يميز حضارة كرمة هو ما أنتجته من الفخار المحلي المصقول، والبديع في صنعه ومظهره، حيث يتميز بلونه الأحمر مع حافة سوداء، والذي يعرفه العلماء باسم "خزف كرمة"، ويعد من أجود الأنواع التي عرفناها في وادي النيل منذ فجر التاريخ، علاوة على شهرة كرمة بإنتاج نوع فريد من الخناجر[١٧٣].

كما أن موقع كرمة يعطي اسمه لثقافة كرمة العليا النوبية، التي تعود إلى منتصف الألفية الثالثة إلى منتصف الثانية قبل الميلاد[١٧٤]، وهنا يستوقفنا أن إنتاج كرمة يشير إلى أن هذه المصنوعات البديعة كانت تنتج بأياد محلية ماهرة من أبناء الإقليم أنفسهم، وهو الرأي نفسه الذيكان قد اقترحه يونكر عقب حفائره هناك[١٧٥].

ولكننا نميل إلى الاعتقاد بأنه ربما كان هناك صناع مصريون يقومون على تدريب أولئك النوبيين، أو على الأقل يشرفون على عملية الصنع برمتها، لنقل الخبرات المصرية، وبخاصة أن الصناعة المحلية في كرمة كانت متأثرة فنياً بمثيلاتها المصرية منذ أواخر العصر المتوسط الثاني، وقد عثر في حفائر كرمة، التي بدأها جورج رايزنر، على العديد من الأدوات والأختام التي تخص عهد الهكسوس، وربما كان في ذلك دليل يفسر لنا معنى التبعية السياسية[١٧٦]،وتؤكد الوثائق النصية وجود امتداد لنفوذ كامس في أجزاء من واوات، أعقبه الإطاحة بحاكم كرمة المحلي وانضمامها للنفوذ المصري ابتداءً من عهد أحمس[١٧٧]، ولا غرو أن قلنا إن كرمة كانت تقلد ما يصنع في مصر، ويتضح ذلك بشكل جلي مع مطلع عصر الأسرة الثامنة عشرة على وجه التحديد، بعد وصول أعداد من المصريين وإقامة الكثيرين منهم في

واوات، مما صاحبه ارتفاع ظاهر في مستوى دقة المصنوعات اليدوية في النوبة[١٧٨].

ولكننا سنلاحظ بشكل ظاهر اختفاء تام للمنتجات المصرية اليدوية المطعمة بالعظم والميكا[١٧٩](Mica)، والتي كانت تصنع في كرمة على وجه التحديد، وذلك بعد تدهور التجارة الخارجية، وكذا فلم تعد تظهر في الأثاث الجنائزي للمقابر المتأخرة كما كانت من قبل[١٨٠]، وكما وصلنا اليوم من الآثار، فقد تدهور الإنتاج في مجمله بشكل تدريجي، حتى غدا رديئاً في هيئته وصناعته بوجه عام.

إنتاج النوبة من النحاس:

أقام المصريون في بوهن جنوبي وادي حلفا أفراناً لصهر النحاس المحلي منذ حوالي ٢٥٠٠ ق.م[١٨١]، وقد أشارت الاكتشافات الأثرية الحديثة في بوهن[١٨٢] إلى وجود مستعمرة مصرية هناك ترجع لعصر الدولة القديمة[١٨٣]، كان من أهم صناعاتها هناك تشغيل النحاس، كما تشير إلى ذلك أفران الصهر التي عثر على بقايا منها، وعلى بقايا من خام النحاس، الأمر الذي يدل على وجود خام جيد يتفوق على غيره من الأماكن الأخرى في مصر والسودان، وتدل الدراسات العلمية لعينات من نحاس بوهن أجريت في "المدرسة الملكية للتعدين بلندن "[١٨٤] (Royal School of Mines) أن رواسب النحاس التي رواسب النحاس التي ظهرت في مصر وفي النوبة السفلى، إنما ترجع وجود مصدر لخام النحاس في بوهن.

وقد عثر "إمري" على كميات من النحاس غير المصهور وذلك بالقرب من ثلاثة أفران خاصة بصهر النحاس في بوهن[١٨٥]، وثبت من الناحية الكيميائية أن أبرز الملامح التي تميز خام النحاس الذي عثر عليه في بوهن هي احتوائه على نسبة عالية من الذهب بشكل مميز[١٨٦].وبينما كان الصائغون يصنعون أدوات الزينة الجميلة، التي وُجد منها الكثير في المقابر النوبية، ومنها الأساور والأقراط وقطع الحلي الأخرى، فإنهم كذلك استخدموا

النحاس، الذي كانت مادته متوفرة في نفس البلاد، فكان يصنع منه أنواع الآلات مثل السكاكين والأمواس[١٨٧].

نقل الجزية على ظهر السفن:

كانت السفن التي تصل إلى مصر، حاملة على ظهورها منتجات وجزية النوبة، تصنع في النوبة نفسها، ومن غير المستبعد أن ما نجده مذكوراً في حوليات تحتمس الثالث من السفن المحملة بالمحاصيل النوبية كل عام كان يصنع هناك، ويقدم للفرعون بصفته جزية[١٨٨].

غير أن صناعة السفن[١٨٩] هذه لم تكن تتجاوز بأي حال منطقة الجندل الثاني، لأن الجزية على الأغلب كانت تنقل في مراكب عبر النهر حتى "إكن"[١٩٠]، ثم تحمل في سفن كبيرة إلى مصر. ثم أصبحت صادرات النوبة تشمل الأخشاب الجيدة، وبخاصة خشب السفن المعد سلفاً للتركيب، ليتم ذلك العمل في مصر، حيث ظهرت المراكب المائية، النيلية والبحرية، كبيرة الحجم، ولدينا في النصوص تسميات ووصف للمراكب المائية وأدوارها، وكذا تمثيل لأنواع مختلفة من السفن في اللوحات والمنسوجات، ونماذج من السفن والقوارب والأشخاص الذين استخدموها[١٩١]، حيث كانت مصر في الدولة الحديثة تمتلك أسطولاً متميزاً من السفن، فالتصميم المصري وتقنيات البناء التي تعتمد على المفاصل العميقة والنتوءات، كانت ناجحة سواء على النيل أو في البحر[١٩٢].

ويدل كذلك ذكر تعداد السفن عند منطقة الشلال في "تنجور" من عهد تحتمس الأول على وجود تجارة نهرية منتظمة وقتها[١٩٣].

وذكرت قوائم الجزية من عصر تحتمس الثالث السفن التي تحمل بالمحاصيل النوبية كل عام، وأنها كانت تصنع هناك، ثم تأتي السفن نفسها لمصر، بمثابة جزء من الجزية المقررة، كما أن مناظر مقبرة "حوي" بالبر الغربي تعرض لنا أطولاً من سفن النقل[١٩٤]، إلا أننا نلحظ من خلال الحوليات أن المحاصيل المختلفة كانت تدون دون أن يذكر عددها، كما أنها كانت

ترسم في المناظر والنقوش دون أدنى تفسير لمحتواها، باستثناء أحد مناظر الجزية من عهد أمنحتب الثاني، سنعرض له لاحقاً.

وهناك اللوحة الصخرية التي عثر عليها من عهد تحتمس الثالث في جبل برقل، تشير إلى أن النوبيين في عصر الدولة الحديثة كانوا يفضلون صناعة السفن كاملة، لكي تقدم كجزية، بدلاً من توريد الأخشاب المفككة، وتركيب أجزاء السفن في مصر، ويشبه ذلك بالضبط ما كان يُوَرَّدُ من أشياء أخرى من الخشب وبخاصة الأنواع الثمينة من الخشب مثل الأبنوس.[١٩٥]

وهكذا يتضح أن ضرورة إعادة تشييد بوهن عند حلفا، وميعام، وباكي (كوبان) في النوبة السفلى واضح جداً، فبوهن على رأس الجندل الثاني كانت مركزاً لتخليص البضائع القادمة من الجنوب، والتي كانت تحمل على السفن الراسية على أرصفتها الحجرية، أما ميعام فقد كانت أكثر اهمية، وأخيراً كوبان على النهر عند آخر نقطة من الطريق الحيوي المؤدي إلى مناجم الذهب في وادي العلاقي، فقد كانت تراقب أي احتمال لهجوم من الجنوب الشرقي[١٩٦].

ويستلف النظر أن مقابر النوبيين من أيام الأسرة الثامنة عشرة كانت تحوي أدوات جنائزية عديدة ومتنوعة في استعمالها، وذلك بالتأكيد يعتمد على مدى الحالة المادية والاجتماعية التي كان عليها أصحابها في الدنيا، وهي تشمل إلى جانب الفخار قطعاً من الحلي، (مثال لوحة رقم ١٢)تتكون من أقراط من البرونز والعقيق واليشب، وخواتم من الذهب والبرونز، وجعارين وتمائم من العقيق والستيتيت والزجاج والصدف، علاوة على الأسلحة، وهي قليلة، وتمثلها رؤوس حراب برونزية وسهام وبلط وخناجر، والمقابر المنحوتة كان أصحابها أكثر رخاء، وتعطينا هذه المقابر البعيدة عن المحطات العسكرية فكرة أن النوبة بعد غزوها كان يسكنها جنس فقير يعتمد على الأشياء الرخيصة التي كانت تستورد من مصر[١٩٧].

قوائم الجزية الواردة من النوبة:

تكاد تنحصر معلوماتنا عن الجزية القادمة من النوبة بشكل كبير على المناظر المصورة في عدد من مقابر الأفراد، وإن كانت القوائم الرسمية الصادرة من الدولة لم تصلنا حتى الآن، كما أن النقوش والكتابات المسجلة على جدران المباني الحكومية لا تقدم لنا الصورة الحقيقية عن قوائم الجزية الفعلية، والتي علمنا من وثائق الدولة الحديثة أن الطرق النهرية كانت تستعمل سنوياً لنقل الجزية، حيث لم يكن نهر النيل كله صالحاً للملاحة، لما يعترضه من جنادل، على انه كانت فيه مسافات صالحة لسير السفن، منها مسافة طولها حوالي ٣٠٠ كم، تقع بين الجندلين الأول والثاني، وأخرى طولها حوالي ١٠٠ كم بين "كوشة" و"دلقو"، ثم المسافة الطويلة التي يبلغ طولها حوالي ٤٥٠ كم في المنحنى العظيم الذي تقع فيه منطقة "دنقلة" الحالية، وتكون الملاحة صالحة في منطقة الجنادل لمدة شهرين سنوياً، هي وقت الفيضان[١٩٨] الذي ترتفع فيه المياه وتساعد السفن على اجتياز العوائق الصخرية.

والواقع أن المناظر المكررة التي وصلتنا لتوريد الجزية كانت تسير على نمط واحد لا يتغير غالباً، وذلك أنه كانت تصور أمام الملك أكوام من السلع المختلفة، مرتبة وأنيقة في تنظيمها، بينما يقف الموظف المسؤول عن تقديمها أمام الملك، لكي يتولى بنفسه على ما يبدو مهمة إحصاء كل ما فيها، ويظهر من خلف أكوام الجزية المكدسة أمراء البلاد الأجنبية الذين يشاركون رسمياً في توريد هذه الجزية، وهم دائماً يظهرون راكعين في إجلال وخضوع للملك الذي هم بمعيته، ونستطيع تمييز هؤلاء الأمراء عن رعاياهم الذين كانوا يرتدون قمصاناً قصيرة، حاملين على أكتافهم منتجات بلادهم، بملابسهم الثمينة وزينتهم الفاخرة، (مثال لوحة رقم٢، ٣، ١٠).

وكانت النوبة بوجه عام تورد في هذا العهد المواد التي كانت ترسم بداهة في المناظر، حيث كانت توضع محاصيل الشمال والجنوب، الواحدة

تقابل الأخرى في الصورة، ونجد عادة صور أهل واوات يحضرون الأواني الفنية ومواد التجارة الأخرى، في حين أهل كوش يحضرون حلقات من الذهب، وحقائب، وخشب أبنوس، وغيرها[١٩٩]، وفي مقبرة "رخمي رع" وزير تحتمس الثالث نجد أن الصناعة اليدوية النوبية قد مثلت فيما يقدم من جزية في صور بعض أوان للمئونة، ونجد للمرة الأولى في أيام العمارنة منتجات يدوية محلية من جزية النوبة، في صورة أوان فاخرة وكراسي ودروع وأقواس، صورت جميعها مع أصناف أخرى للجزية على الجانب الشرقي من الجدار الجنوبي في مقبرة "مري رع الثاني"[٢٠٠]في تل العمارنة(لوحة رقم ١٠).

على أننا يجب أن ندرك مدى الأهمية الفائقة للجزية القادمة من النوبة في أيام الأسرة الثامنة عشرة، حيث أن هذا المصدر المادي كان يتوقف عليه عظمة الفرعون وسلطانه ونفوذه ومظاهر أبهته، إذ كانت الجزية تعد أكبر مصدر مهم لمصر[٢٠١]، وكان نائب الملك بصفته أعلى موظف في كوش هو المسئول قبل كل فرد عن توريد جزية إقليم النوبة، وهو ما كان يتطلب منه اتخاذ سياسة حازمة، وهو لم يكن مسئولاً أمام أحد سوى الفرعون، وعندما يورد الجزية موظف آخر، فلا يعني ذلك أن نائب الملك كان تحت إمرته[٢٠٢].

وعلى أية حال، فقد كانت واردات الذهب من النوبة فوق المعتادة، حتى أنه وضع مصر في منزلة ممتازة في سوق التجارة العالمية وقتذاك، وطبقاً للنصوص المسجلة فإن إنتاج النوبة من الذهب ظل مزدهراً في أيام الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها، ولم يقل معدله إلا ابتداءً من أيام الرعامسة[٢٠٣].

ولدينا قائمة جزية منقوشة على صخور تومبوس، مؤرخة بالسنة العشرين من حكم تحتمس الثالث، والنص مهشم إلى حد كبير، وجاء فيه: *".... وملأ بيت سيده (الملك) مع ... خنمت، وسن الفيل، والأبنوس وخشب تيشبس، وجلود الفهود وخسيت، وبخور المزوي، والأشياء الظريفة من كوش،*

وهي التي يجلبها إلى قصر رب الأرضين، وهو الذي يدخل ممدوحاً ويخرج محبوباً، ابن الملك إنبني" [٢٠٤].

وفي عصر الأسرة الثامنة عشرة، وللمرة الأولى، نجد أنه قد حُددت مقادير معلومة من الذهب، ترسل كل عام إلى مصر كجزية[٢٠٥]، حيث تنتظم جزية النوبة من خلال قسمين: النوبة السفلى والنوبة العليا، وكانت واوات تقدم كمية أكبر من كوش[٢٠٦].

ونجد في حوليات تحتمس الثالث أن هذه المقادير كانت معروفة من بعد السنة الحادية والثلاثين من حكمه[٢٠٧]،كما نلاحظ أن مقدار الذهب المسجل في قوائم الجزية في عهده هو عبارة عن هدايا مقدسة، مثل موائد القرابين، والمواعين، والقلائد، والحلي والعقود، ويبدو الذهب أضعافاً كثيرة أمام سلع أخرى وردت بالقائمة[٢٠٨]، كالتالي:

أولاً: جزية النوبة السفلى "واوات":

العام ٣١: ٩٢ بقرة + حصاد واحد.

العام ٣٣: ٢٠ عبداً + ١٠٤ بقرة + حصاد واحد.

العام ٣٤: ٢٥٥٤ دبناً من الذهب (٢٣٢.٤ كجم)٢٠٩ + ١٠ عبيد + عدد غير معروف من الماشية.

العام ٣٥: ٣٤ عبداً + ٩٤ رأساً من الماشية + حصاد واحد.

العام ٣٨: ٣٨٤٤ دبناً من الذهب (٢٥٨.٨ كجم)٢١٠+ ١٦ عبداً + ٧٧ رأساً من الماشية.

العام ٣٩: ٨٩ رأساً من الماشية + عدد غير معروف من سن الفيل وأبنوس.

العام ٤١: ٣١٤٤.٣ دبناً٢١١ من الذهب (٢٨٦.١ كجم)٢١٢ + ٣ قدت من الذهب + ١١٤ رأساً من الماشية.

العام ٤٢: ٢٣٧٤.١ دبناً من الذهب (٢١٦ كجم)٢١٣ + قدت واحد من الذهب + حصاد واحد.

ثانياً: جزية النوبة العليا "كوش":

العام ٣٣: ١٥٥.٢ دبناً من الذهب (١٤.١ كجم)٢١٤.

العام ٣٤: ٣٠٠ دبناً من الذهب (٢٧.٣ كجم)٢١٥ + ٦٠ عبداً + ٢٧٥ رأساً من الماشية + عاج وأبنوس.

العام ٣٥: ٧٠.١ دبناً من الذهب (٦.٤ كجم)٢١٦ + قدت واحد من الذهب + عدد غير معروف من العبيد + ماشية + عاج وأبنوس + حصاد واحد.

العام ٣٩: ١٤٤ دبناً من الذهب + ٣ قدت من الذهب + ١٠٠ عبداً + زنجي واحد وعدد غير معروف من الماشية.

العام ٤١: ٩٤ دبناً من الذهب + ٢ قدت من الذهب + ٢١ عبداً زنجياً + عدد غير معرف من الماشية٢١٧.

العام ٤٢: ٢٣٧٤ دبناً من الذهب + قدت واحد من الذهب + حصاد واحد٢١٨.

ويبدو أن الجزية كانت ترد بانتظام إلى خزائن الفرعون، وأن السلام ظل مستتباً في عهده[٢١٩]. ومع أن الكمية في معظمها من الذهب، وتبلغ أكثر من ثمانمائة واثنين وعشرين ألف دبن[٢٢٠]، كانت ذات تأثير كبير لكثرتها، فقد كانت هذه الأشياء الأخرى قليلة جداً، وربما كان ذلك شاهداً على فقر البلاد بعد الحروب[٢٢١].

وجادت الصدفة بطريق الاستثناء أن كتب على أحد مناظر الجزية من عهد أمنحتب الثاني في معبد قصر أبريم تعداد المحاصيل، وقد وردت هذه الكميات في صور رجال محملين، وهذا ما يدل عليه منطق الصورة، وهذا الإحصاء لا يعد بحال من الأحوال إحصاءً رسمياً، والمتن الخاص بذلك تصعب قراءته في بعض نواحيه، هذا إلى أن الأرقام بسبب تهشم النقش لم يمكن التأكد منها، فنجد بعد اسم الملك ما يلي: "لقد ظهر جلالته في طيبة

على العرش"، وهذا يدل صراحة على أن توريد الجزية، التي ذكرت في النص بكلمة "إنو *inw*" قد جاءت من البلاد الجنوبية، كما كان يحدث عادة في عاصمة الملك، ويأتي بعد مديح رجال البلاط والجيش للملك القائمة التالية عن الجزية الموردة:

٢٠٠ من الرجال، محملين بـ ....

١٥٠ من الرجال، محملين بالذهب

٢٠٠ من الرجال، محملين بمادة حماجت

٢٥٠ من الرجال، محملين بسن الفيل

١٠٠٠ من الرجال، محملين بالأبنوس

٢٠٠ من الرجال، محملين بكل رائحة حلوة من أرض الجنوب

٥٠ من الرجال، محملين بخشب (؟) .... أو (٣٤ رجل)

١٠ من الرجال، محملين بفهود حية

٢٠ من الرجال، محملين بكلاب صيد

٤٠٠من الرجال، محملين بثيران من نوع "أوا" ونوع "ونجو"

٢٦٥٧ (؟) أو ٢٦٤٩ (؟) مجموع الرجال حاملي الجزية[٢٢٢].

الأحوال الزراعية بالنوبة:

كانت الزراعة هي الحرفة الرئيسية التي يعرفها معظم النوبيين ويمتهنونها، حيث تتلاءم مع ظروفهم المجتمعية، وجاءت طريقة حياة الناس بسيطة، مثلهم كما هو مع الفلاحين المصريين في وادي النيل كما ظهروا منذ ما قبل الأسرات، وكل قدم من التربة المتاحة في النوبة بالقرب من قرية كان يزرع[٢٢٣]،وكانت التربة الطينية الغرينية الخصبة لضفتي نهر النيل في النوبة تماثل إلى حد كبير تربة الوادي في جنوب مصر، حيث تتشابه التضاريس في كلتا المنطقتين[٢٢٤].

وكان من الطبيعي أن يظهر إلى الوجود ويتعايش في وادي النيل مجتمعان متمايزان إلى حد بعيد، الواحد منهما في النوبة رعوي، بل ولعله لا يزال شبه بدوي، وإن لم تعوزه المهارات الزراعية، والآخر في مصر زراعي في جوهره، عاكف على الزراعة المكثفة للأرض، ومنظم من الناحية السياسية تنظيماً مركزياً، وبذلك فإن هاتين الحضارتين اللتين كانتا متشابهتين وكل منهما مستقلة بذاتها حتى عام ٣٠٠٠ ق.م تقريباً اتجهتا بالتدريج إلى أن تصبح كل منهما مكملة للأخرى من الناحية الاقتصادية، فأدى هذا التطور إلى تسهيل التبادل بينهما[٢٢٥].

وتحول النظام القبلي الذي كان سائداً بالنوبة من قبل، والذي كان مسيطراً على ملكيات الأراضي بالنوبة، فقد استبدل في هذه المرحلة التاريخية ليحل محله نظام الإقطاعيات المصري، والذي يؤدي إلى خلق طبقات متفاوتة في المجتمع. وهكذا قد وجد معظم النوبيين أنفسهم يعملون في أراضي يمتلكها الفرعون نفسه أو أمراء محليين أو كبار رجال الجهاز الإداري الحكومي[٢٢٦].

وعلى ما يبدو فإن هذا التحول في نظام ملكية الأراضي قد صاحبه تطور زراعي كبير، ومن أمثلة ذلك مشهد الزراعة المرسوم على جدران مقبرة "جحوتيحتب"[٢٢٧] في "دبيرة"، والذي يشير على أن صاحب الأرض كان يزرع التمر وينتجه بغرض تصديره إلى مصر. ومن خلال تتبع الرسوم والمناظر المصورة على جدران المقبرة ذاتها يمكننا أن نلاحظ وجود نوعين من العمال الزراعيين، نميز نوعاً منهما من خلال البشرة البنية لأصحابه من أبناء النوبة السفلى، والنوع الآخر يتميز أصحابه ببشرة سوداء وملامح زنجية، وهم من الرقيق الذين تم جلبهم من أقصى الجنوب[٢٢٨].

ومن خلال قائمة جزية العام العشرين من عهد تحتمس الثالث، التي وردت سلفاً، نجد ذكر محاصيل زراعية مختلفة، مثل المحاصيل العطرية،

وخشب الأبنوس الفاخر، وخشب تشيبس، وبخور المزوي، وكلها من سلع الرفاهية والترف التي كانت مصر تستورد أصنافاً منها[٢٢٩].

وتقدم لنا هذه المتون، بما جاء فيها من مقادير الحاصلات الزراعية، صورة ناقصة مبهمة عن الدور الذي كانت تقوم به بلاد النوبة في الحياة الاقتصادية لمصر، كما نلحظ فيها أن المحاصيل المتعددة كانت تدون بدون ذكر لعددها، فضلاً عن أنها رسمت في المناظر والنقوش بدون تفسير لمحتواها، ولا يمكننا أن نذكر على وجه التحديد ازدياد الأهمية الاقتصادية، وبخاصة إذا فهمنا أن الحالة السياسية كانت قد توطدت، وظهر مفعول النظام الإداري الجديد بوضوح[٢٣٠].

ومع أن مصر معروفة كبلد زراعي منذ بداية تاريخها القديم[٢٣١]، ولديها من المحاصيل الزراعية ما يكفي حاجة السكان، بل وأنها كانت معروفة بأنها مخزن غلال لبلاد البحر الأبيض المتوسط، إلا أننا وجدنا في حوليات السنة الثامنة والثلاثين من عهد تحتمس الثالث ما يفيد أن قوائم جزية كوش لهذه السنة اشتملت على القمح[٢٣٢] القادم من واوات وأيضاً من كوش[٢٣٣]، وأيضاً نشاهده في منظر بمقبرة "خعإمحات" ضمن المحاصيل التي يتلو مقدارها على أمنحتب الثالث[٢٣٤].

وتدلنا شواهد الآثار على تميز منطقة الجندل الثالث بشكل خاص بتربية النحل وإنتاج عسله، وبصيد أنواع مختلفة من الحيوانات، وأيضاً بصناعة النبيذ، وتوجد أدلة متناثرة على حدوث أنشطة مماثلة لذلك في مناطق أخرى بالنوبة السفلى[٢٣٥].

ويبدو أن الأسلوب الزراعي المتبع في مصر معتمداً على تقسيم الأراضي الزراعية إلى أحواض، كان يعتبر أمراً مستحيلاً في معظم الأراضي النوبية[٢٣٦]، وليس كلها، بسبب اجتياح الفيضان للأراضي التي كان ارتفاعها قليلاً، والتي تطل مباشرة على النهر، إضافة إلى عدد كبير من الجزر النيلية الصخرية[٢٣٧].

وعن الأدوات الزراعية التي استخدمها النوبيون، فقد أمدتنا بعض المقابر من إقليم النوبة السفلى بنماذج عديدة مختلفة لأدوات زراعية مصنوعة من الخشب، على أن أشهر هذه الأدوات وأكثرها انتشاراً هو الشادوف،[٢٣٨] الذي كان في هذه الحقبة بشكل خاص منتشراً ومستخدماً لدى فلاحي وادي النيل بمصر، ولم يهمل لعقود طويلة، وكان له دوره البارز في اتساع الرقعة الزراعية في طول الوادي[٢٣٩].

وعلاوة على أن النشاط الزراعي بالنوبة قد تحسن بالفعل منذ مطلع عصر الأسرة الثامنة عشرة على وجه التحديد، وبخاصة في إقليم النوبة السفلى[٢٤٠]، وعلى الرغم من اتساع رقعة الأراضي الزراعية بالإقليم، إلا أن الحكومة المصرية قد استمرت في إرسال كميات من الغلال المصرية، باستخدام السفن النيلية، من أجل إطعام ودفع رواتب الموظفين المصريين وغير المصرين الذين يعملون بإقليمي النوبة[٢٤١].

وقد لاحظنا ورود العديد من الإشارات النصية المتفرقة على مدى عصر الأسرة الثامنة عشرة تقريباً، تشير جميعها إلى قيام الملوك، وبخاصة منذ منتصف عصر الأسرة تقريباً، بتخصيص مساحات محددة من الأراضي الزراعية النوبية كأوقاف خاصة بأعمال أو أماكن معينة، بحيث يتم تخصيص كامل ريعها للإنفاق على هذه الأماكن أو الأعمال، وهو الأمر الذي يعتبر مألوفاً من خلال اعتيادنا على مقابلته بصفة مستمرة خلال دراستنا للتاريخ المصري القديم على مر العصور، وعلى وجه خاص في عصر الدولة الحديثة، حيث كثيراً ما كانت تستوقفنا إشارات نصية تفيد بصدور أوامر ملكية بتخصيص أوقات زراعية للإنفاق على أعمال الإنشاءات والترميمات والطقوس الدورية بالمعابد المصرية، وكذا من أجل القيام بإنجاز بعض الأعمال الملكية الخاصة كقطع الأحجار الجيدة اللازمة لنحت التماثيل الضخمة للملوك أو المعبودات، إضافة إلى تشييد المعابد والمقاصير الدينية الجديدة، وتجهيز المقابر الملكية، وقطع المسلات من محاجرها، ونقلها

المرهق إلى حيث أماكن تنصيبها داخل المعابد أو أمام الصروح والواجهات، وما إلى ذلك من الأعمال والمهمات الشاقة التي لا تنتهي ولا تنقطع من عهد إلى آخر.

واتبع ملوك الأسرة الثامنة عشرة نفس السياسة مع الأراضي الزراعية، وأيضاً في المناجم بإقليم النوبة، فبالإضافة إلى المعابد المصرية العديدة التي تم تشييدها في الإقليم في عصر الدولتين القديمة والوسطى، فقد كانت هناك بعض المعابد الأخرى بمصر أوقفت عليها إقطاعيات واسعة من أراضي النوبة، وحتى استقلالها عن النفوذ المصري فإن ريعها بالكامل كان يذهب مباشرة لكي ينفق على المعابد، وهو ما أدى إلى تعزيز الدور الاقتصادي للمعابد المصرية[٢٤٢].

وعلى ما يبدو فقد كانت أسعار الأراضي الزراعية في النوبة خلال عصر الأسرة الثامنة عشرة باهظة بشكل ملفت، وأنها كانت تفوق أسعار مثيلاتها في مصر، ويمكن الاستدلال من ذلك على ندرة الأراضي الجيدة المناسبة للزراعة، أو على الأقل قلة وجودها، وربما يكون ذلك ناتجاً عن الخسائر التي كان يخلفها فيضان النيل، متمثلة في إغراق مساحات من الأرض، وإتلاف بعض أنواع من المحاصيل قبل حصادها، ولذلك تبرز أهمية امتلاك الأراضي الزراعية بالنوبة، نظراً لقلة أو صغر الرقعة الزراعية الخصبة والآمنة من خطر الفيضان.

وعلى أي حال فإن النظام الذي اتبعه الملوك في عصر الأسرة الثامنة عشرة نحو تبديل ملكية الأرض بالنوبة من نظامها القبلي السائد من قبل إلى نظام الإقطاعيات، وما ترتب عليه من خلق فئات متفاوتة طبقياً في المجتمع، كان هو العامل الرئيسي الذي أدي إلى الحد من إمكانيات قطاع عريض من أبناء المجتمع النوبي يشكل الفلاحين والعمال البسطاء معظمه، وما أدل على ذلك من محتويات مقابرهم، والتي كانت نفسها غاية في البساطة لأبعد الحدود، وما كانت لتشمل أكثر من عدد بسيط من أوان فخارية

بسيطة الصنع، بالرغم من اختلاف طرزها عن بعضها البعض طبقاً للموقع والعصر والحضارة التي تنتمي إليها.

ويبدو أن ملوك الأسرة الثامنة عشرة لم يكتفوا بفرض نظامهم الاقتصادي على النوبة فقط، وإنما فرضوا عليها مفاهيم الولاء الطبقي أيضاً، حيث انتشر في النوبة ما يمكن أن نطلق عليه عدم المساواة العرقية، مما أديإلى تعقيد الصورة الاجتماعية، وظهرت حالات واضحة لذلك من خلال عائلات الحكام النوبيين، الذين عبروا بشكل غير مباشر عن رغبتهم في الاندماج مع المصريين، وأنهم قد قاموا بذلك بالفعل من خلال اندماجهم مع الفئات من ذوي الطبقة الرفيعة بالمجتمع[٢٤٣].

وعامة فقد نجحت سياسة ملوك الأسرة الثامنة عشرة في إدارة إقليم النوبة وأيضاً البدء في تمصيرها[٢٤٤]، وعلى رأس الوسائل التي اتبعوها في ذلك كان الاهتمام بهذه الفئة النبيلة على وجه الخصوص.

ودلت الشواهد على أن النوبيين البسطاء من عامة المجتمع من الفلاحين قد عاشوا في هذه الحقبة التاريخية كأرقاء للأرض، التي أصحبت ملكاً إما لمصريين قادرين، أو لنوبيين متمصرين، بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ينتمون لطبقة اجتماعية تخلت تقريباً عن كل العلاقات القبلية التي كانت تربطهم بأبناء وطنهم. وكان هؤلاء البسطاء ينتمون لأصول عرقية متنوعة، وكان معظمهم منساق إلى حد كبير في مهام أعمال الخدمة الرسمية، وبشكل خاص أعمال الزراعة والصناعة والتعدين، وكانت الفئة العاملة في مجال التعدين تواجه قسوة ومشقة في العمل أكثر بشكل كبير مقارنة مع ما كان سائداً في الحياة العامة بشكل عام، وفي "كرمة" بشكل خاص[٢٤٥].

وتبرز الأهمية الاقتصادية التي كان يمثلها العامل الوطني الذي لم يكن حراً في مصر في عهد الدولة الحديثة، حيث نجد أنه حتى المالك الصغير والراعي كانا يشتغلان مع العبيد الذين كانوا يُجلبون من الجنوب.

وأخيراً، ومن الناحية الاقتصادية، فإن ملوك مصر عندما نجحوا في ضم إقليم النوبة، فإنهم قد سيطروا بالكامل على احتكار التجارة المهمة للبلاد الشمالية[٢٤٦]، يضاف إلى ذلك المبادلات التجارية المصرية بالمحاصيل الثمينة، وعلى رأسها يتربع الذهب، وكذا مختلف أنواع المحاصيل الإفريقية الأخرى التي ذكرناها، وهو ما أدى إلى الرفع من منزلة مصر حتى في حوض البحر المتوسط، لا بفضل محاصيلها المحلية وحسب، بل كذلك بالدور الفاصل الذي كانت تقوم به موارد الثروة الغنية التي كانت تحصل عليه من بلاد النوبة.

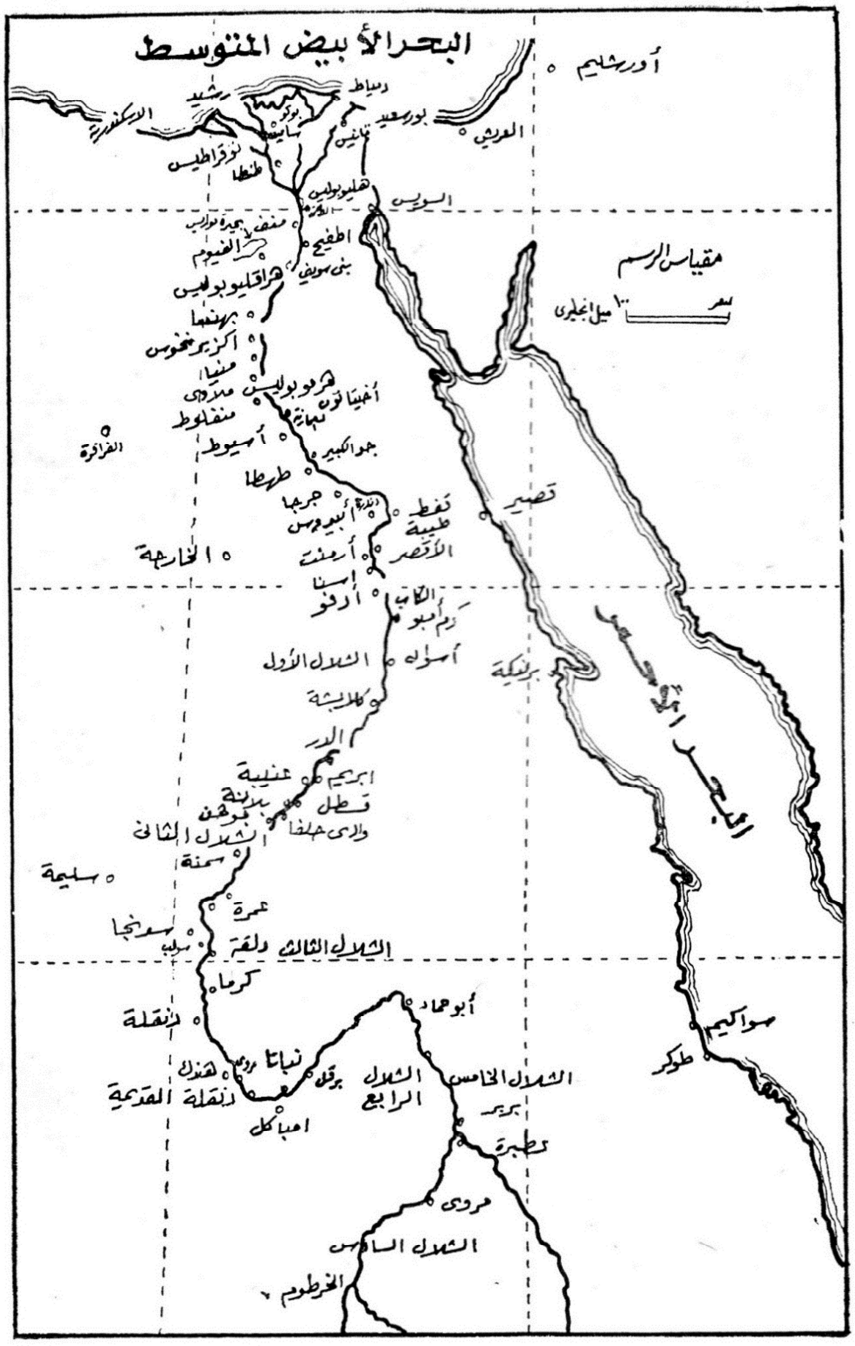

لوحة رقم (١): خريطة وادي النيل

وولتر إمري: مصر وبلاد النوبة، ص ٨

لوحة رقم (٢) أمراء نوبيون يحضرون الجزية لمصر (من مقبرة أمنحتب حوي بطيبة الغربية)

عبد المنعم عبد الحليم سيد: تاريخ وحضارة وآثار إفريقية الشرقية، ص ٤١، شكل رقم ٧

لوحة رقم (٣) نوبيون يحملون الذهب كجزية لمصر (تفصيل من المنظر السابق)

Budka, The Gold of Kush, p.1.

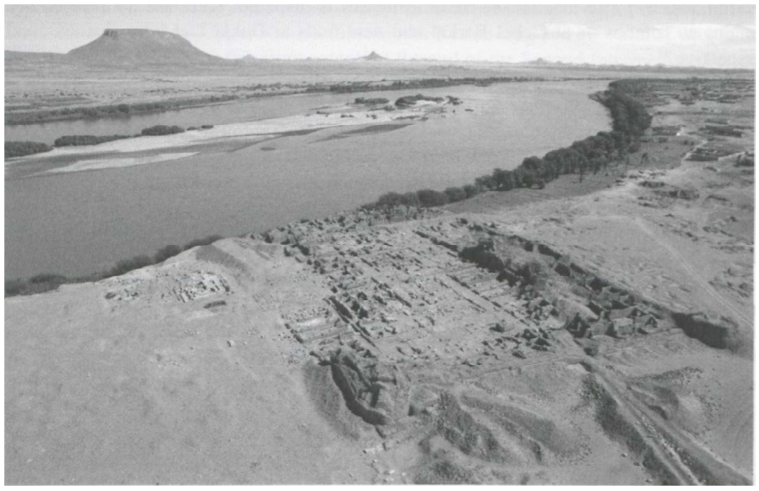

لوحة رقم (٤)منظر للجزء الجنوبي من جزيرة صاي تظهر فيه آثار الدولة الحديثة

Budka, The Egyptian Re-conquest of Nubia, p. 66, fig. 1.

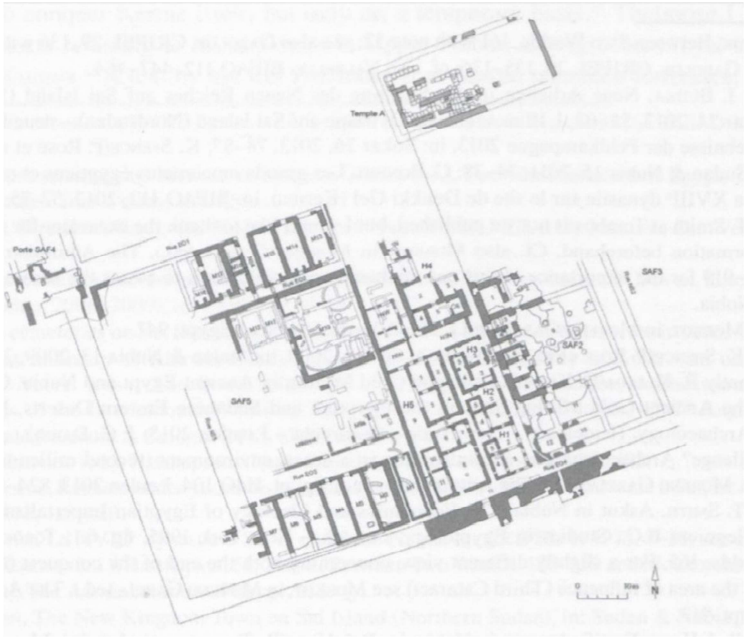

لوحة رقم (٥)مسقط أفقي للجزء الجنوبي من جزيرة صاي تظهر فيه آثار الدولة الحديثة

Budka, The Egyptian Re-conquest of Nubia, p. 66, fig. 2.

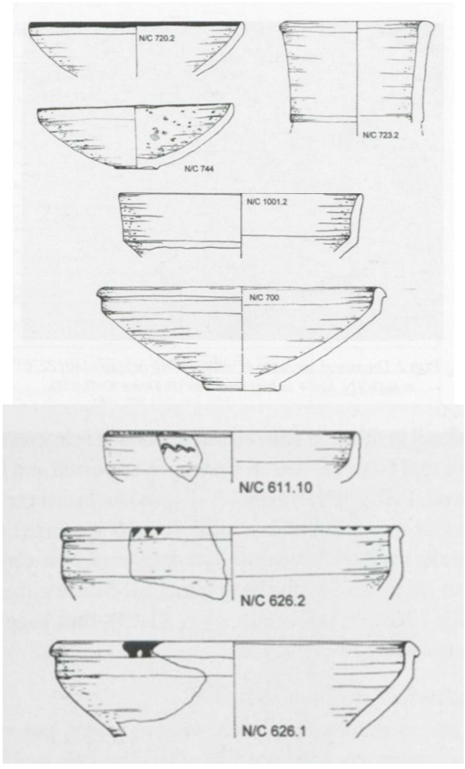

لوحة رقم (٦)نماذج فخار نوبي من أوائل عصر الأسرة ١٨ من حفائر جزيرة صاي (SAV1)

Budka, The early New Kingdom at Sai Island, p.25, fig.1 & p.30, fig.3.

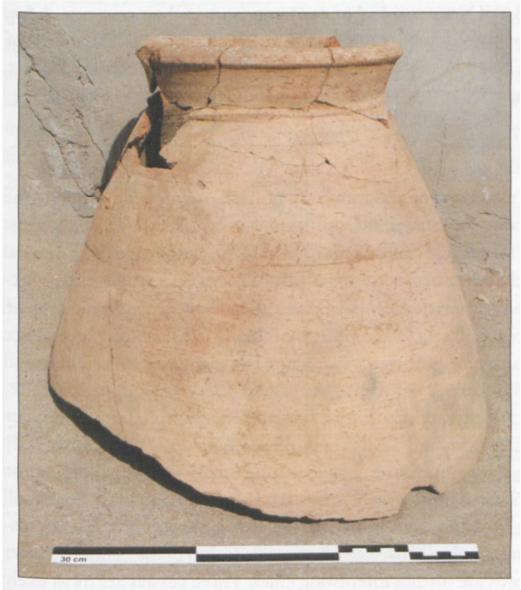

لوحة رقم (٧): الجزء العلوي من زير ضمن الأواني الخزفية المكتشفة من حفائر جزيرة صاي

Budka, The early New Kingdom at Sai Island, p.27, pl. 4.

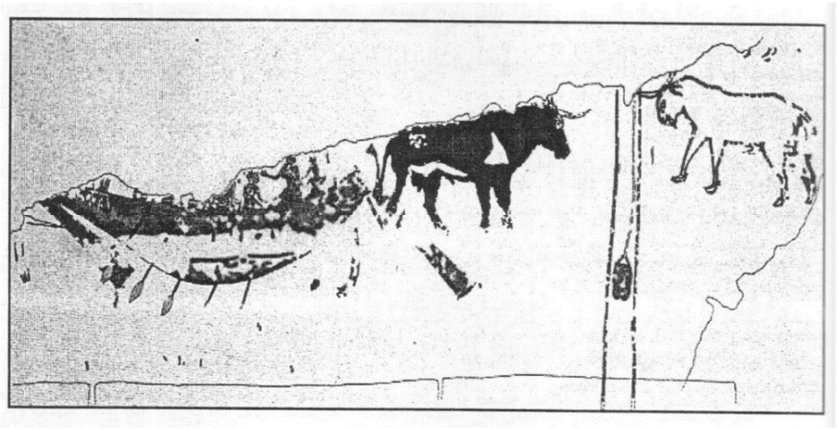

لوحة رقم (٨): منظر أبقار ومراكب نوبية (من مدافن كرمة الوسطى)

أسامة عبد الرحمن النور: تاريخ السودان القديم، ص ٢٧٥، شكل رقم ٢٦

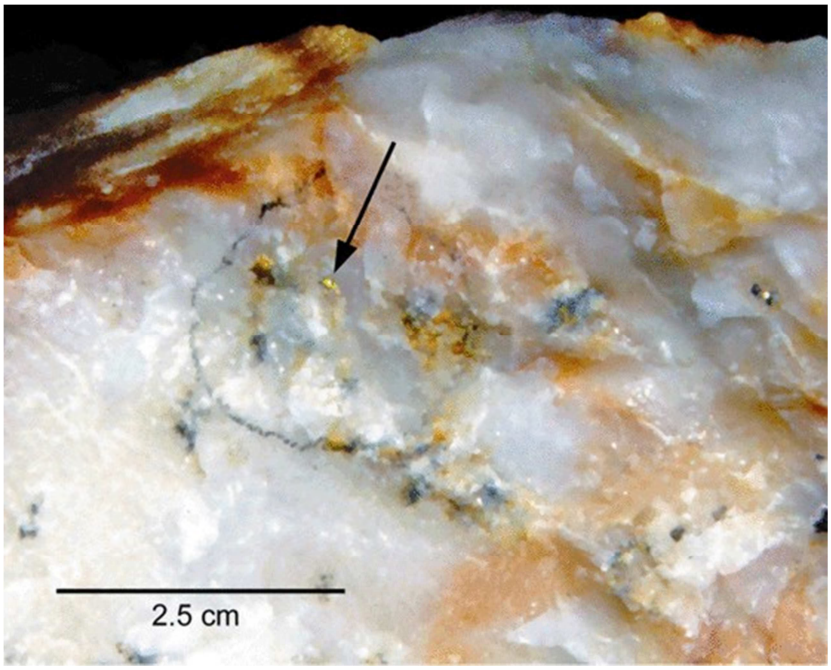

لوحة رقم (٩) جسيمات الذهب في قطعة كوارتز وقت استخراجه من المنجم

Klemm and Klemm, Gold and Gold Mining, p.1, fig. 1.1.

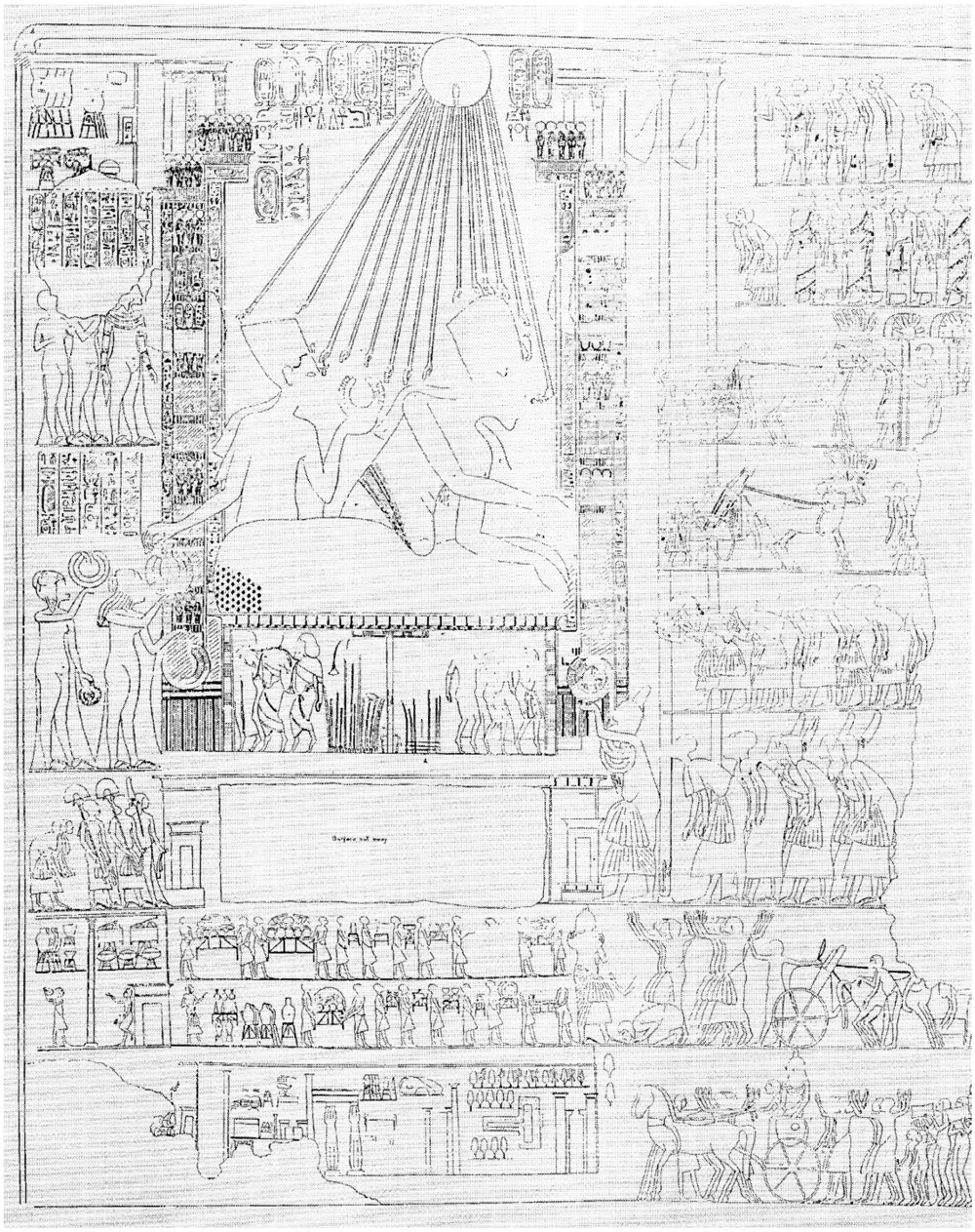

لوحة رقم (١٠) قوائم الجزية أيام أمنحتب الرابع، من مقبرة مري رع الثاني

Davies, The Rock tombs of El Amarna, II, pl. XXXIX.

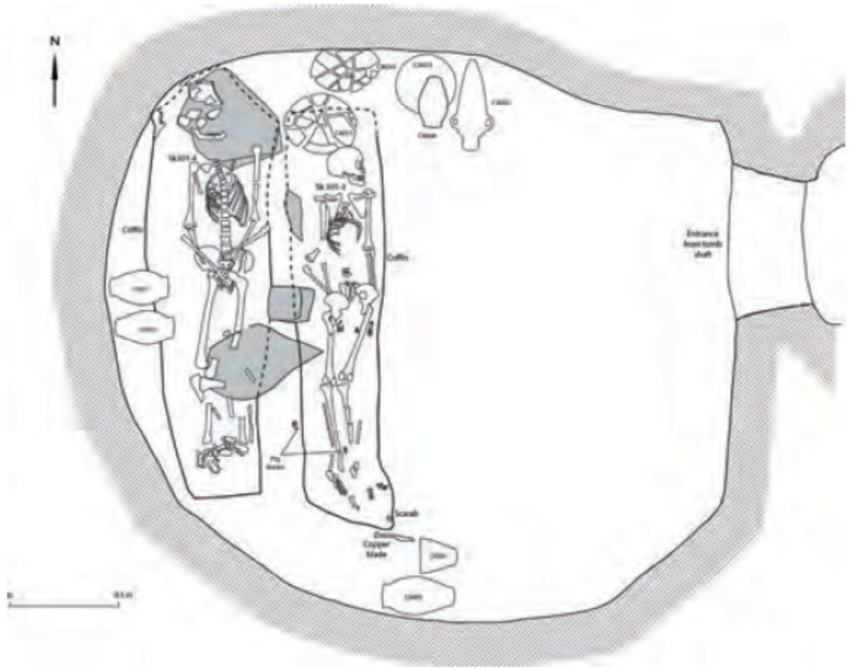

لوحة رقم (١١) مقبرة بعمارة غرب تحوي دفنة رجل وامرأة في توابيت على غرار العقيدة المصرية

ميكالا بيندر: الإعداد للخلود، ص ٧٣.

لوحة رقم (١٢) قلادة من خرز القاشانى والعقيق الأحمر من حفائر البعثة البريطانية عمارة غرب

ميكالا بيندر: الإعداد للخلود، ص ٥٩.

الهوامش :

[1] Welsby, D.A., "Ancient Nubia. By Peter L. Shinnie", *Archaeological Journal, Vol. 154*, No.1, 1997, p. 305.

[2]Trigger, B.G., "The Reasons for the Construction of the Second Cataract Forts", ***JSSEA, Vol. 12***,1982, p. 1-2.

[3] Trigger, B.G., "New Light on the History of Lower Nubia", ***Anthropologica, Vol. 10***, No. 1, 1968, p. 81.

[٤]محمد علي سعد الله: "الأقواس التسعة من خلال مقابر الأسرة الثامنة عشرة في مصر القديمة"، مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، العدد ٣٨، ١٩٩٠، ص ٢٢٩.

[٥]مكي شبيكة: السودان عبر القرون، بيروت: دار الجيل ١٩٩١م، ص ٩.

[6]Sadig, A.M., "Reconsidering the 'Mesolithic' and 'Neolithic' in Sudan", Shirai, N. (ed.), *Neolithisation of Northeastern Africa*, Berlin 2013, p. 23 ff.

[7]Klemm, R. and Klemm, D., *Gold and Gold Mining in Ancient Egypt and Nubia: Geoarchaeology of the Ancient Gold Mining Sites in the Egyptian and Sudanese Eastern Deserts, Natural Science in Archaeology*, London: Springer, 2013, p. 3.

[8]Levi, J.B., "The Intellectual Warfare of Dr. Jacob H.Carruthers and the Battle for Ancient Nubia as a Foundational Paradigm in Africana Studies: Thoughts and Reflections", *Journal of Pan African Studies, Vol. 5*, Issue 4, 06/2012, p. 183.

[٩] سليم حسن: **موسوعة مصر القديمة**، الجزء العاشر، القاهرة ٢٠١٢، ص ٧.

[١٠] وولتر إمري: مصر وبلاد النوبة، ترجمة تحفة حندوسة، مراجعة د. عبد المنعم أبو بكر، القاهرة: المركز القومي للترجمة٢٠٠٩، ص ١٧٩؛ نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتي، مراجعة د. زكية طبوزادة، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر ١٩٩١، ص ٢٥٧.

[11]O'Connor, D., "The Hyksos Period in Egypt", in: Oren, E.D. (ed.), ***The Hyksos: New Historical and Archaeological Perspectives, University Museum Monographs 96, Symposium Series 8.*** Philadelphia, Pennsylvania 1997, p. 62-63.

[١٢]شحاتة آدم وجان فيركوتير: أهمية النوبة، ص ٢٤٤.

[13] Davies, W.V., "Reneseneb and Sobeknakht of Elkab: the genealogical data", in: Maree, M. (ed.), ***The Second Intermediate Period (Thirteenth -Seventeenth Dynasties): Current Research, Prospects,*** Orientalia Lovaniensia Analecta 192, Leuven, Paris and Walpole, 3/ 2010, p. 223-240.

[14]Haring, B., "The Rising Power of the House of Amun in the New Kingdom", in: García, J.C.M. (ed.), *Ancient Egyptian Administration*, Leiden: Brill, 2013, p. 607 ff.

[15] Johansson, C., *Digital Reconstruction of the Archaeological Landscape in the Concession Area of the Scandinavian Joint Expedition to Sudanese Nubia (1961–1964)*, Department of Archaeology and Ancient History, Uppsala University, February 2014, p. 15.

[16]Schneider, T., "The Gebel Barkal Stelae and the Discovery of Ancient Nubia: Auguste Mariette's Inspiration for Aïda", *Near Eastern Archaeology,Vol. 78, Issue 1*, 2015, p. 45.

[17] Budka, J., "The Egyptian Re-conquest of Nubia in the New Kingdom - Some Thoughts on the Legitimization of Pharaonic Power in the South", *7th Symposium on Egyptian Royal Ideology; Prague, June 26–28, 2013*, Wiesbaden 2015, p. 76.

١٨ سامي جمعة علي: مختصر تاريخ النوبة وتعريف بلغتها، القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٨، ص ٢٠-٢٢.

[١٩]كانت مصر مقسمة إلى أقاليم تنتظم في قسمين: الأول مصر العليا "تا-شمعو" *T3- šmᶜw*ويمتد من أسوان جنوباً، وحتى أطفيح شمالاً، والثاني هو مصر السفلى "تا-محو" *T3- mḥw*ويتكون من منف والدلتا. راجع: أحمد محمد البربري: عواصم مصر القديمة، الإسكندرية ٢٠٠٤، ص ٦١.

[20]Valbelle, D., “International relations between Kerma and Egypt”, in: Anderson, J. andWelsby, D.A.(eds.), *The Fourth Cataract and Beyond. Proceedings of the 12th International Conference for Nubian Studies*, British Museum Publications on Egypt and Sudan 1, Leuven 2014, p. 103-105.

[21]O'connor, D., "Early States along the Nubian Nile", in David, W.K. (ed.), *Egypt and Africa: Nubia from Prehistory to Islam*, London: British Museum Press1993, p. 147 ff.

[22] O'connor, D., "The Locations of Yam and Kush and Their HistoricalImplications", *JARCE, 23*, 1986, 27-50.

[23]Säve-Söderbergh, T., "Kusch", *LÄ, 3*, Wiesbaden 1981, p. 888.

[٢٤]علاء الدين قابيل: تاريخ بلاد النوبة القديم وآثارها، القاهرة: دار الفكر العربي ٢٠٠٦، ص ٣.

[25] Spencer, N., “Amara West: considerations on urban life in occupied Kush”, In: Welsby, D., Anderson, J.R. (eds.), ***Proceedings of the 12th International Conference for Nubian Studies***, Leuven: British Museum Publications on Egypt and Sudan 1., 2014, p. 457-485.

[26]Ryan, P. et al., “Aspects of ongoingarchaeobotanical research in a Pharaonic town in Ancient Nubia”, ***The British Museum Technical Research Bulletin, vol. 6***, 2012, P. 98.

[27]Budka, J., “The New Kingdom in Nubia: New results from current excavations on Sai Island”, *EVO, 37*, 2014, p. 55.

[28]Fisher, M.M., “The History ofNubia”, in: Fisher, M.M. et al. (eds.), *Ancient Nubia: African Kingdoms on the Nile*, Cairo, 2012, P. 25-33; Zibelius-Chen, K., “Nubien wirdÄgyptischeKolonie”, in: Wenig, S., Zibelius-Chen, K. (ed.), *Die Kulturen Nubiens - einafrikanischesVermdchtnis, Dettelbach*,Dettelbach 2013, p. 135-155.

[٢٩]مدينة محصنة، تقع على الضفة الغربية للنيل، على بعد ٣٥ كيلو متر جنوب عبري.

[30]Spence, K. and Rose, P., "Fieldwork at Sesebi, 2009", *Sudan & Nubia 13*, 2009, p. 38-46; Spence, K. et al., "Sesebi 2011", Sudan & Nubia 15, 2011, p. 34-39; Rose P., "Early 18th Dynasty Nubian Pottery from the site of Sesebi, Sudan", in: Forstner-Müller I., Rose, P. (eds.), *Nubian pottery from Egyptian cultural contexts of the middle and early New Kingdom*, Proceedings of a Workshop held at the Austrian Archaeological Institute at Cairo, 1–12 December 2010, Vienna 2012, p. 13–29.

[31]Binder, M., Spencer, N., Millet, M., "Cemetery D at Amara West: the Ramesside Period and its aftermath", *British Museum Studies in Ancient Egypt and Sudan 16*, 2011, p. 47-99; Fisher, "The History ofNubia", p. 25-33; Budka, "The New Kingdom in Nubia", p. 55.

[32] Spencer, N., "Amara West: considerations on urban life in occupied Kush", In: Welsby, D., Anderson, J.R. (eds.), ***Proceedings of the 12th International Conference for Nubian Studies***, Leuven: British Museum Publications on Egypt and Sudan 1., 2014, p. 457-485.

[33]Spataro, M., et al., "The New Kingdom settlement of Amara West (Nubia, Sudan): mineralogical and chemical investigation of the ceramics", *Archaeological and Anthropological Sciences7*, 2015, p. 399.

[34]Ryan et al., "Archaeobotanical research in a pharaonic town in Ancient Nubia", in: *The British Museum Technical Research Bulletin, vol. 6*, 2012, p. 98.

[35]Spencer N., "Creating and re-shaping Egypt in Kush: responses at Amara West", *J Anc Egyptian Interconnect 6/1*, 2014, p. 42-61.

[36]Ryan et al., "Archaeobotanical research in a pharaonic town in Ancient Nubia", p. 104-106.

[٣٧]ماريفاندنبوش: "مصر داخل كوش"، في: سبنسر وآخرون: مدينة عمارة غرب: المعيشة في النوبة المصرية، منشورات المتحف البريطاني، ب.ت، ص ٤٩.

[38] Doyen, F., "Sai Island New Kingdom Town (Northern Sudan): 3rd and 4th Seasons (2009- 2010)", in: Anderson, J. & Welsby D.

(ed.), ***The Fourth Cataract and Beyond. Proceedings of the I2th International Conference for Nubian Studies***, British Museum Publications on Egypt and Sudan 1, Leuven 2014, 367-375.

[39]Budka, "The New Kingdom in Nubia", p. 56.

[40]Morkot, R., "From conquered to conqueror: the organization of Nubia in the New Kingdom and the Kushite administration of Egypt", in: Garcia, J.C.M. (ed.), *The Administration of Egypt, Handbuch der Orientalistik 104*, Leiden 2013, p. 923-924.

[41]Budka, "The Egyptian Re-conquest of Nubia", p. 64.

[42] Vercoutter, J. "La XVIIIe dynastie à Saï et en Haute-Nubie", in:*CRIPEL 1*, 1973, p. 37-38.

43Kahn, D., "The history of Kush, an outline", in: Jesse F. and Vogel, C. (eds.), The Power of Walls - Fortifications in Ancient Northeastern Africa, *International Workshop Held at the University of Cologne, 4lh-7lh August 2011,* Colloquium Africanum 5, Cologne 2013.

[44]Gabolde, L., "Réexamendesjalons de la presence de la XVIIIe dynastie naissante à Saï", in: *CRIPEL 29*, 2011-2012, p. 118-120.

[45]Thill F., "Les premiers dépôts de fondation de Saï", *CRIPEL 17/2*, 1997, p. 105-117.

[46]Budka, "The Egyptian Re-conquest of Nubia", p. 78.

[47]Török, L, "Between Two Worlds", p. 160-161.

[48]Geus, F., "Sai", in: Welsby, D.A. and Anderson, J.R. (eds.), *Sudan Ancient Treasures: An Exhibition of recent discoveries from the Sudan National Museum*, London: The British Museum 2004, p. 114-116.

[49]Budka, J. and F. Doyen, "Life in New Kingdom Towns in Upper Nubia – New Evidence from Recent Excavations on Sai Island", *Ägypten und Levante 22-23*, 2012/ 2013, p. 167-208.

[50] Budka, J. "Palaces in so-called Nubian temple towns: A reassessment", in: Manfred Bietak and Silvia Prell (eds.), *Ancient Egyptian and Ancient Near Eastern Palaces. Volume I. Proceedings of the Conference on Palaces in Ancient Egypt, held in London 12th – 14th June 2013*, Contributions to the Archaeology of Egypt, Nubia and the Levant 5, Vienna 2018, p. 251–273.

[51]Budka, "The Egyptian Re-conquest of Nubia", p. 76-77.

[52]Budka, J. "The early New Kingdom at Sai Island: preliminary results based on the pottery analysis (4th Season 2010)", in: *Sudan & Nubia* 15, 2011, p. 23.

[53]Giddy, L., "The Survey of Memphis II. Kom Rabica: The New Kingdom and Post-New Kingdom objects", *Egypt Exploration Society Excavation Memoir 64*, London 1999, Passim.

[54]Budka, J. "Palaces in so-called Nubian temple towns", p. 251–273.

[55]Fattovich, R., "The Northern Horn of Africa in the first millennium BCE: local traditions and external connections", *RSE, Vol. IV*, 2012, p.4.

[56]Sherman, A.R., "Birds by the Wayside, in Egypt and Nubia", *The Wilson Bulletin*, Vol. 27, No. 3, Sep. 1915, p. 369.

[57]C. L. R., "Nubian Objects Acquired by the Egyptian Department", ***The Metropolitan Museum of Art Bulletin***, ***Vol. 8***, No. 9, Sep. 1913, p. 200.

[58]Hein, Die Ramessidische Bautätigkeit Nubien, s. 41.

[٥٩]وولتر إمري: مصر وبلاد النوبة، ص ١٣١–١٣٣ بتصرف.

[٦٠] عن حصون وقلاع النوبة وأسماءها وأماكنها والغرض من تشييدها في أيام الدولة الوسطى، انظر: إبراهيم محمد بيومي مهران: "مصر في عصر سنوسرت الثالث، دراسة تاريخية حضارية أثرية"، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ٢٠٠١.

[٦١] محمد بيومي مهران: تاريخ السودان القديم، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية ٢٠٠٠، ص ٣١٥.

[62]García, J.C.M., "The Study of Ancient Egyptian Administration", in: García (ed.), *Ancient Egyptian Administration*, Leiden: Brill, 2013, p. 13.

[63]Morkot, R., "From conquered to conqueror", p. 924.

[64]Hatke, G., ***Aksum and Nubia: Warfare, Commerce, and Political Fictions in Ancient Northeast Africa***, N.Y University Press 2013, p. 11-12.

[65]Trigger, B.G., *Nubia under the Pharaohs*, London 1976, p. 129.

[66] Kendall, T., "Egypt and Nubia", in: Wilkinson, T. (ed.), *The Egyptian World*, London: Routledge 2007, p. 409.

وأيام اخناتون كانوا يسبحون لإله الشمس لتثبيت النوبة، كما فيمقبرة الكاهن "آي": (.... البلاد الأجنبية .... سوريا والنوبة وبلاد مصر ... أنت تثبت كلاً في مكانه وتعمل ما يلزمه ....). راجع: أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة: نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة، ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر والدكتور محمد أنور شكري، القاهرة: مكتبة مدبولي ١٩٩٥، ص ١٦٤.

[67] García,J.C.M., "Temples and agricultural labour in Egypt, from the Late New Kingdom to the Saite Period", in: *Dynamics of Production in the Ancient Near East (1300–500 BC)*, Oxford & Philadelphia: Oxbow Books 2016, p. 233.

[٦٨] نيل سبنسر: "مصر داخل كوش"، ص ٩.

[69]Williams, B.B., "The adoption and rejection of Egyptian symbolic culture in Nubia", in: *CRIPEL, vol. 26*, 2006, p.405.

[٧٠] عن حكام النوبة ومهامهم وما يتعلق بهم أيام الدولة الحديثة، راجع: إبراهيم محمد بيومي مهران: "حكام النوبة في عصر الدولة الحديثة، دراسة تاريخية حضارية"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة عين شمس، ٢٠٠٥م.

[71]*Wb., III*, p. 409; Schmitz, B., *UntersuchungenZumTitel s3-njswt "Königssohn"*, Bonn: Habelt 1976, p. 245.

[72] Habachi, L., "Königssohn von Kusch", in: Helck, W., *LÄ, 3*, Wiesbaden 1980, s. 630-40.

[73]Säve-Söderbergh, T. and Troy L., (eds.), *New Kingdom Pharaonic Sites. The Finds and the Sites. The Scandinavian Joint Expedition to Sudanese Nubia*, Vol. 5, Uppsala 1991, p. 7.

[74]Säve-Söderbergh, *Ägypten und Nubien*, Berlin 1941, s. 175-184.

[٧٥]لدينا نصوص من عهد الملك سنفرو تؤكد إحضاره لسبعة آلاف رجل من "تا ستي" (النوبة).
Gardiner, A.H., *Egyptian Grammar: Being an Introduction to the Study of Hieroglyphs*, London: Griffith Institute Publications 1957, p. 512.

[٧٦]عبد الحميد زايد و ج. دافيس، "علاقات مصر بسائر أجزاء إفريقيا"، ص ١٣٤.

[77]Fuller, D., "Early Kushite agriculture", *Sudan & Nubia 8*, 2004, p. 70-72.

[٧٨]شحاتة آدم وجان فيركوتير، "أهمية النوبة"، ص ٢٣٤.

[79]García, "Temples and agricultural labour in Egypt", p. 226.

[80]Carroll, S.T. et al., "Wrestling in Ancient Nubia", *Journal of Sport History, Vol. 15*, No. 2, Summer, 1988, p. 131.

[81] O'connor, D., "New Kingdom and Third Intermediate Period, 1552-684 B.C.", in: *Ancient Egypt. A Social History*, ed. Trigger B. et al. Cambridge: Cambridge University Press 1983, p. 255 ff.

[82]Arkell, A.J., *A History of The Sudan*, London 1961, p. 102.

[83]Adams, "Nubia: Corridor to Africa", p. 217 ff.

[84]Säve-Söderbergh, T., Ägypten und Nubien, s. 210.

[85]Spence and Rose, "Fieldwork at Sesebi, 2009", p. 38-46; Spence, et al., "Sesebi 2011", p. 34-39.

[٨٦]عبد الحميد زايد و ج. دافيس، "علاقات مصر بسائر أجزاء إفريقيا"، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الثاني: حضارات إفريقيا القديمة، إشراف الدكتور جمال مختار، اليونسكو ١٩٨٥، ص ١٣٤.

[87]Müller, I., *Die Verwaltung Nubiens im Neuen Reich*, Meroitica 18, Wiesbaden 2013, p. 74 – 79; Budka, "The New Kingdom in Nubia", p. 59.

[٨٨]لم يستأنس الزنوج الفيل حتى مطلع العصر الحديث تقريباً، ومن أجل أن يحصلوا على سن الفيل فقد كانوا يوقعون الحيوان في حفرة، أو يقتلونه بإطلاق وابل من النبال عليه. راجع: جون لويس بوركهارت: رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد أندراوس، إشراف الدكتور محمد شفيق غربال، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٧، ص ٢٤٢.

[٨٩]سليم حسن: مصر القديمة، جـ ١٠، ص ٣٧٢.

[90]*Urk., IV*, p. 947, 950.

[٩١]سليم حسن: مصر القديمة، جـ ١٠، ص ٥٢.

[92]McMichael, H. A., *A History of the Arabs in the Sudan*, Vol. 1, London: Frank Cass 1967, p. 20-21; Adam, S., "The Importance of Nubia: A Link Between Central Africa and the Mediterranean," in: Mokhtar, G. (ed.), *UNESCO General History of Africa*2, 1969, p. 242.

[٩٣]في عصر الدولة الحديثة كانوا يفضلون صناعة السفن كاملة، بدلاً من توريد الأخشاب لصنعها في مصر. انظر: سليم حسن: مصر القديمة، جـ ١٠، ص ٣٧٣.

[94]Evans, A.J., *The Palace of Minos: a comparative account of the successive stages of the early Cretan civilization as illustrated by the discoveries at Knossos*, Band II, London 1988, p. 765.

[95]Lameiras, F.S., "Infrared and Chemical Characterization of Natural Amethysts and Prasiolites Colored by Irradiation", *Materials Research, Vol. 12, No. 3,* May 2009, p. 315-320.

[96] Dawson, W.R., "The Substance Called Didi by the Ancient Egyptians", ***The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, No. 3,*** Jul.,1927, p. 497 ff.

[97] *WB., II*, s. 339.

[98] Wainwright, G.A., "The Excavations at Balabish: Preliminary Notice", ***JEA, Vol 2, Issue 1***, 1915, p. 22.

[99] Sherman, "Birds by the Wayside", p. 369-393.

[100] Kees, H., ***Kulturgeschichte des Alten Orients, I: Ägypten***, Handbuch der Altertumswissenschaft, III, München 1933, s. 71, 124.

[101] Davis T. M., *The Tomb of Siptah; The Monkey Tomb and The Gold Tomb*, London: Archibald Constable and Company Ltd. 1988, p. 17.

[102] Winlock, H.E., "The Metropolitan Museum's Egyptian Expedition", *The Metropolitan Museum of Art Bulletin, vol. 9*, p. 43.

[١٠٣] سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، جـ١٠، ص ٣٧٥.

[104] Pöllath, N., "Tools, Ornaments and Bucrania: The Animal Remains" in: Salvatori, S. and Usai, D. (eds.), *A Neolithic Cemetery in the Northern Dongola Reach. Excavations at Site R12*, p. 59–77. Oxford: Archaeopress 2008; Broekman, G.P.F., "The Leading Theban Priests of Amun and their Families under Libyan Rule", *JEA, Vol. 96*, 2010, p. 125 - 127.

[١٠٥] أمنحتب المدعو حوي، صاحب المقبرة TT 40بجبانة قرنة مرعي بالبر الغربي للأقصر، التي اكتشفت سنة ١٩٧٨م، وأعيد افتتاحها بعد الانتهاء من ترميمها سنة ٢٠١٥م، وفيها منظر يمثل صاحب المقبرة وهو يعاين الجزية النوبية في خمسة صفوف.Weing, Nubien, s. 528

[106] O'Connor, D. and Cline, E.H., *Amenhotep III: perspectives on his reign*, University of Michigan Press, 2001.

[107] Eigner, D., "Das Thebanische Grab des Amenhotep, Wesir von Unterägypten: die Architektur", *MDAIK, Band 39*, 1983, s. 39-50.

[108] Török, L., "Between two worlds: the frontier region between ancient Nubia and Egypt 3700 BC – 500 A.D", ***Antiquity, Vol. 84, Issue324,*** Cambridge 2010, p. 579-581.

[109] Weing, Nubien, s. 528 ff.

[١١٠] عن الذهب ومناطق استخراجه ونوعيته وكمياته واستخداماته المتعددة في مصر القديمة، راجع: آمال محمد بيومي مهران: "الذهب واستخداماته في مصر القديمة"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ٢٠٠١.

[111] Darnell, J.C., "A Bureaucratic Challenge? Archaeology and Administration in a Desert Environment (Second Millennium B.C.E.)", in:Garcia, J. C.M., (ed.), *The Administration of Egypt, Handbuch der Orientalistik, 104*, Leiden 2013, p. 828.

[112] Klemm and Klemm, Gold and Gold Mining in Ancient Egypt, p. 9.

[113] Johansson, Digital Reconstruction, p. 15.

[114] Vercoutter, J., "The Gold of Kush", *JEA, 7*, 1959, p. 135.

[١١٥] عبد الحليم نور الدين: تاريخ بلاد النوبة وآثارها، محاضرات مكتبة الإسكندرية، ص ٢.

[١١٦] نيل سبنسر: "مصر داخل كوش"، ص ٩.

[117] Hein, I., *Die Ramessidische Bautätigkeit in Nubien*, Göttinger Orientforschungen, IV. Reihe: Ägypten, Band 22, 1991, maps 3-8.

[118] Brett, M., ***Approaching African History***, New York: Boydell & Brewer 2013, p. 109.

[١١٩] سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، جـ١٠، ص ٣٧٠.

[120] Edwards, D.N., *The Nubian Past: An archaeology of the Sudan*, London: Routledge, 2004, p. 107; Johansson, Digital Reconstruction, p. 15.

[١٢١]ميكالا بيندر: "الإعداد للخلود"، في: نيل سبنسر وآخرون: **مدينة عمارة غرب: المعيشة في النوبة المصرية**، منشورات المتحف البريطاني، ب.ت، ص ٧٣.

[122] Reisner, G.A.,"Accessions to the Egyptian Department during 1914"(Excavations at Giza and Kerma),*BMFA 13*, No. 76, April 1915, p. 72.

[١٢٣]عبد الحليم نور الدين: تاريخ بلاد النوبة وآثارها، محاضرات مكتبة الإسكندرية، ص ٦.

[124] Davies, W.V., "From Halfa to Kareima: F. W. Green in Sudan", *Sudan & Nubia 18*, 2014, p. 14-15.

[125]Brett, Approaching African History, p. 111.

[١٢٦]ظهر هذا الاسم في عصر الأسرة الثامنة عشرة، وكان يعبر عن "النوبة السفلى". *Wb., 5*, 134

[١٢٧]سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، جـ١٠، ص ٣٦٧، وقد ذكر الجبل الطاهر في أبو سمبل، ووضع في مصور تورين. انظر سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، جـ٦، ص ٩٩.

[128]Hein, Die Ramessidische Bautätigkeit Nubien, s. 31.

[١٢٩]نجم الدين محمد شريف: "النوبة قبل نباتا، (٣١٠٠– ٧٥٠ ق. م)"، تاريخ أفريقيا العام، الجزء الثاني، اليونسكو ١٩٨٥، ص ٢٧٨.

[١٣٠]وادي العلاقي: يقع في الصحراء الشرقية، في مواجهة المسافة ما بين الجندلين الأول والثاني، ويتصل بنهر النيل عند الجنوب من "الدكة"، ويشتهر الوادي بمناجم الذهب التي استثمرها المصريون منذ الدولة الوسطى على أقل تقدير، وأقام فيها ملوك الأسرة الثامنة عشرة حصوناً لتأمين المناجم، وحفروا آباراً للمياه. انظر: عبد الحليم نور الدين: تاريخ بلاد النوبة وآثارها، محاضرات مكتبة الإسكندرية، ص ٣١.

[131]Klemm and Klemm, Gold and Gold Mining in Ancient Egypt, p. 570.

[132]Vercoutter, "The Gold of Kush", p. 140.

[١٣٣]إبراهيم مهران: مصر والنوبة، ص ٨٢.

[١٣٤]سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، جـ١٠، ص ٣٦٦.

[١٣٥]وولتر إمري: مصر وبلاد النوبة، ص ١٨٧.

[136]Breasted, J.H, *Ancient Record of Egypt, Historical Documents from the Earliest Times to the Persian Conquest*, vol. III, London, 1988, § 113.

[137]Vercoutter, "The Gold of Kush",p. 135

[138]Klemm and Klemm, Gold and Gold Mining,p.9; Budka, "The New Kingdom in Nubia", p. 568-570.

[139]Budka, J., "The Gold of Kush", in: *European Research Council, July 18*, 2013, p.1.

[140]Budka, "The New Kingdom in Nubia", p. 59.

[141]Klemm and Klemm, Gold and Gold Mining,p.9.

[142]McMichael, A History of the Arabs in the Sudan, p. 20-21; Adam, "The Importance of Nubia", p. 242.

[143]Hein, Die Ramessidische Bautätigkeit Nubien, s. 12.

[144]Vercoutter, "The Gold of Kush", p. 142.

[145]Trigger, Nubia under the Pharaohs, p. 113.

[146]Hein, Die Ramessidische Bautätigkeit Nubien, s. 49.

[147]Klemm and Klemm, Gold and Gold Mining,p.8.

[148]Trigger, Nubia under the Pharaohs, p. 114.

[149]Säve-Söderbergh, Ägypten und Nubien, s. 207.

[150]Kozloff, A.P. et al, *Egypt's Dazzling Sun, Amenhotep III and his World*, Cleveland: Cleveland Museum of Art in cooperation with Indiana University Press 1992, p. 292–294.

[151]*Urk., IV*, s. 333; Naville, E., *The Temple of Deir el Bahari*, Band III, London 1891, p. 76.

[152] Valbelle, D., "Hatchepsout en Nubie",*Bulletin de la Société Française d'Égyptologie, 167,*2006, p. 33-50.

[153]*Urk., IV*, s. 708.

[154]*Urk., IV*, s. 457.

[155]Hein, Die Ramessidische Bautätigkeit Nubien, s. 15.

[١٥٦]سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، ص ٣٨٥-٣٨٦.

[157] Thompson, A.H. et al., "Stable isotopes and diet at Ancient Kerma, Upper Nubia (Sudan)", *Journal of Archaeological Science 35*, 2008, p. 377.

[158]Adams, Nubia, p. 195 ff.

[159]Johansson, Digital Reconstruction, p. 14.

[160]Adams, Nubia, p. 212.

[161] Junker,H., *Bericht über die Grabungen der Akademie der Wissenschaften in Wien auf den Friedhöfen von Ermenne (Nubien) im Winter 1911–1912*, Wien 1925, S. 57.

[162]Honegger, M., "Archaeological excavations at Kerma (Sudan): Preliminary report to the 2012 - 2013 season", in: *Documents de la mission Archéologique Suisse au Soudan 5:* 2013, p. 1 - 47.

[١٦٣]كانت حفائر رايزنر حتى وقت قريب هي المرجع الوحيد الذي نعتمد عليهلدراسةحضارة كرمة.

[164]Budka, J. "The early New Kingdom at Sai Island", p. 23.

[165] Reisner, G.A., "Excavations at Kerma", Vol. II, Cambridge, Mass. 1924.

[166] Darnell, J.C, A Bureaucratic Challenge? Archaeology and Administration in a Desert Environment (Second Millennium B.C.E.), in: García, J.C.M. (ed.), *The Administration of Egypt, HdO 104*, Leiden 2013, p. 828.

[167]Budka, "The Egyptian Re-conquest of Nubia", p. 65.

[168]Gradel, C.,"L'Université de Lille iii au Soudan: un demi siècle de fouilles, de coopération et de formation", ***Pratiques du Patrimoine en Égypte et au Soudan, 5-6***, 2009, p. 384-385.

[169]Gradel,"L'Université de Lille iii au Soudan", p. 399.

[170]Gratien, B., Le Saout, F., (éds.), Nubie. Les cultures antiques du Soudan, à travers les explorations et fouillesfrançaises et franco-soudanaises, *Exposition organisée à la FondationProuvost, Marcq en Baroeul, du 16 septembre au 27*,Lille, 1994, p. 138 ff.

[١٧١]تعني باللغة النوبية التل الأحمر، وهي مدينة مسورة بالقرب من كرمة، أقيم عليها عدد من المعابد المصرية. انظر: نيل سبنسر: "مصر داخل كوش"، ص ٩.

[١٧٢]عبد الرحيم محمد خبير: "المكتشفات الجديدة عن حضارة كرمة (٢٥٠٠-١٥٠٠ق.م) بالسودان: الدلالات"، مركز الخدمات الإعلامية العالمية – السودان، منشور إلكترونياً في ٢٥ فبراير ٢٠١٧م. http://gmsudan.sd/ar/index.php/research/8267

[١٧٣]محمد إبراهيم بكر: تاريخ السودان القديم، القاهرة: دار المعارف ١٩٩٨، ص ٢٦.

[174] Bonnet, C., Kerma, royaume de Nubie: Genève: Mission Archéologique de l'Université de Genève au Soudan 1990, p. 32; Honegger, M., "Aux origins de Kerma", *Genava 55*, 2007, p. 201–212; Manzo, Andrea, "Architecture, Power, and Communication: Case Studies from Ancient Nubia", *African Archaeological Review*, 03/2017, Vol. 34, Issue 1, p. 123-124.

[175]Junker,Ermenne (Nubien) im Winter 1911–1912, S. 57.

[176] Arkell, A History of the Sudan, s. 78; Adams, W.Y., *Nubia: Corridor to Africa*, Princeton University Press 1984, p. 212.

[177]Török, L, “Between Two Worlds: The Frontier Region between Ancient Nubia and Egypt 3700 BC - 500 AD”, *PdA 29*, Leiden 2009, p. 158-159.

[178]Geus, F., “Jean Vercoutter: Pionnier de l’Archéologie Française au Soudan”, *Il y a cinquanteans face à l’immersion de la Nubie*, Khartoum 2004, p. 16.

[١٧٩]الميكا هي مجموعة معادن من السيليكات تتبلور في هيئة طبقات، وتتميز بظاهرة الانفلاق البلوري، حيث يسهل فصل رقائقها، وتشكل ما يعادل حوالي ٩٠% من مكونات القشرة الأرضية.

Rickwood, P.C., The largest crystals, *American Mineralogist, Vol. 66*, l98I, p. 901.

[180]Junker,H.,*Studies Presented to F. Ll. Griffith*, Oxford University Press 1932, p. 297-299.

[١٨١]عبد الحميد زايد و ج. دافيس، "علاقات مصر بسائر أجزاء إفريقيا"، ص ١٣٤.

[182]Hein, Die Ramessidische Bautätigkeit Nubien, s. 41.

[١٨٣]نجم الدين محمد شريف: "النوبة قبل نباتا"، ص ٢٧٨.

[184]www.union.ic.ac.uk

[١٨٥]محمد بيومي مهران: تاريخ السودان القديم، ص ٣١٨.

[186]El-Gayar and Jones, A Possible Source of Copper, p. 31.

[187]Steindorff, G., ***Aniba***, Vorlaufiger Bericht uber die Ergebnisse derin den Jahren 1912-1914 und 1930-1931, vol. I, 1937, p. 114.

[188]Vercoutter, "The Gold of Kush", p. 135.

[١٨٩]عن السفن في مصر القديمة وأنواعها وطرق صناعتها واستخداماتها، راجع:

Landsröm, B., *Ships of the Pharaohs*, Stockholm, 1970; Jones, D., Boat, London: British Museum Publications, 1995; Pomey, P. In

press. The Pharaonic Ship Remains of Ayn Sukhna. In *Proceedings of the Twelfth International Symposium on Boat and Ship Archaeology*, Istanbul 2009.

[١٩٠]إكن *iken*: هي محطة تجارية نيلية تقع جنوبي بوهن، على مبعدة ٤٠ كم شمالي سمنة، و٢٠ كم شمالي أورونارتي، كان بها حصن طول سوره ٩٠٠ متراً، ويحيط بالمدينة التي تقع على الضفة الغربية للنيل أمام جزيرة مايانارتي عند قمة الجندل الثاني، وتعد إيكن حصن ميرجيسا الشهير. راجع: نجم الدين شريف: النوبة قبل نباتا، ص ٤١٨-٤١٩.

[191]Ward, C., "Building pharaoh's ships: Cedar, incense and sailing the Great Green", *British Museum Studies in Ancient Egypt and Sudan 18*, London 2012, p. 218.

[192]Ward, C., "From River to Sea: Evidence for Egyptian Seafaring Ships", *Journal of Ancient Egyptian Interconnections*, Vol. 2:3, 2010, p. 46.

[193]Urkunden Des MittlerennReiches I, VII, s. 12.

[194]Broekman, "The Leading Theban Priests of Amun", p. 125 - 127.

[١٩٥]محمد بيومي مهران: تاريخ السودان القديم، ص ٣٢٠.

[١٩٦]عبد المنعم عبد الحليم سيد: تاريخ وحضارة وآثار إفريقية الشرقية في العصور القديمة، الإسكندرية ٢٠٠٦، ص ٤١.

[١٩٧]وولتر إمري: مصر وبلاد النوبة، ص ١٨٩.

[١٩٨]سليم حسن: مصر القديمة، جـ ١٠، ص ٥٣.

[199]Wreszinski, W., *Atlas zuraltaegyptischen Kulturgeschichte*, Band II,
Leipzig: J.C. Hinrichs, 1936, s. 285.

[200]Davies, N. de G., *The Rock tombs of El Amarna, Part II: The tombs of Panehesy and Meryra II*, London 1905, p. 38.

[201]Säve-Söderbergh, Ägypten und Nubien, s. 181.

[٢٠٢]سليم حسن: مصر القديمة، جـ ١٠، ص ٢٦١.

[203]Vercoutter, "The Gold of Kush", p. 135.

[204]Säve-Söderbergh, Ägypten und Nubien, s. 207 - 208.

[205]Klemm and Klemm, Gold and Gold Mining,p.11.

[206]Vercoutter, “The Gold of Kush”,p. 135

[٢٠٧]سليم حسن: مصر القديمة، جـ ١٠، ص ٣٦٥.

[208]Zibelius-Chen, “Nubien wirdÄgyptischeKolonie”, p. 140.

[209]*Urk., IV*, s. 709.

[210]*Urk., IV*, s. 721.

[٢١١]يلحظ هنا أن الكسر الذي يأتي بعد "الدبن" يساوي "قدت" واحد، وهو هنا ٣ قدت، والدبن يحتوي على ١٠ قدت، ووزن الدبن يساوي حوالي ٩١ جراماً، أو ما يساوي أكثر من ١٤٠٠ حبة. انظر: سليم حسن: مصر القديمة، جـ ١٠، ص ٣٨٤، هامش رقم ٧.

[212]*Urk., IV*, s. 728.

[213]*Urk., IV*, s. 734.

[214]*Urk., IV*, s. 702.

[215]*Urk., IV*, s. 708.

[216]*Urk., IV*, s. 715.

[٢١٧]وولتر إمري: مصر وبلاد النوبة، ص ١٩٣.

[218]El-Gayar, E. & Jones, M.P., "A Possible Source of Copper One Fragment Found at the Old Kingdom Town of Buhen", *JEA, 75*, 1989, p. 31- 40.

[٢١٩]نجم الدين محمد شريف: "النوبة قبل نباتا"، ص ٢٦٨؛ Wenig, S., Nubien, s. 530

[٢٢٠]عارف أحمد إسماعيل المخلافي: تاريخ وادي النيل (مصر والسودان)، صنعاء: دار الكتاب الجامعي ٢٠٠٦، الطبعة الثانية، ص ٢٦٩.

[٢٢١]وولتر إمري: مصر وبلاد النوبة، ص ١٩٤.

[٢٢٢]سليم حسن: مصر القديمة، ج ١٠، ص ٣٦٣ – ٣٦٤.

[223] Beckett, H.W., "Nubia and the Berberine", ***Bulletin of the American Geographical Society, Vol. 44***, No. 5, 1912, p. 352-353.

[224] Hibbs, A.C., Irrigation and Infection: *A Bioethnography of Schistosomiasis in Ancient Nubia*, Emory University 2010, p. 31.

[٢٢٥]شحاتة آدم وجان فيركوتير، "أهمية النوبة"، ص ٢٣٥.

[226]Arkell, A History of The Sudan, p. 104.

[٢٢٧]كان جحوتيحتب حاكم منطقة "سرة"، شمالي وادي حلفا، خلال عصر الملكة حتشبسوت، وكان يستخدم اسمه المصري "جحوتيحتب" في نقوشه وآثاره، وبخاصة على جدران مقبرته، مفضلاً إياه على اسمه النوبي *P3-itsy*.راجع: إبراهيم مهران: حكام النوبة، ص ٢٤٧.

[228]McMichael, A History of the Arabs in the Sudan, p. 20-21; Adam, "The Importance of Nubia", p. 242.

[٢٢٩]عن سلع الرفاهية والترف التي كان المصريين القدامى يستوردونها من الهند ومن إفريقيا الشرقية، ويقوم تجار العرب بالوساطة في نقلها. راجع: إبراهيم محمد بيومي مهران: "منتجات الجزيرة العربية وتجارتها الخارجية في كتابات هيرودوت"، ندوة الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٩ يناير – ٢ فبراير ٢٠١٨م.

وعن دور التجار العرب في هذا النشاط، والسلع التي كانوا يجلبونها لمصر وبلدان الشرق الأدنى، راجع: عبد المنعم عبد الحليم سيد: "النشاط التجاري للعرب القدماء خارج الجزيرة العربية من خلال النقوش العربية القديمة وروايات الكتاب الكلاسيكيين"، مجلة بحوث ندوة التجارة عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ، اتحاد المؤرخين العرب ٢٠٠٠، ص ١٧ وما بعدها.

[٢٣٠]سليم حسن: مصر القديمة، ج ١٠، ص ٣٦٥.

[231]Hibbs, Irrigation and Infection, p. 47.

[232]O'Connor (eds.), *Thutmose III: A New Biography*, Ann Arbor: University of Michigan Press 2006, p. 344-369.

[٢٣٣]سليم حسن: مصر القديمة، ج ١٠، ص ٣٧٧.

[234]*L.D. III*, 77 C.

[235]Säve-Söderbergh, Ägypten und Nubien, s. 119.

[236]Katary, S.L.D., "The Administration of Institutional Agriculture in the New Kingdom", in: García, J.C.M. (ed.), *Ancient Egyptian Administration*, Leiden: Brill, 2013, p. 720-721.

[237]Brett, Approaching African History, p. 109.

[٢٣٨]عن الشادوف وغيره من أنواع الأدوات الزراعية التي استخدمها المزارعون في مصر القديمة، راجع: ألفريد لوكاس: المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة: زكى إسكندر ومحمد زكريا غنيم، مراجعة: عبد الحميد أحمد زايد، القاهرة؛ وليم نظير: الثروة النباتية عند قدماء المصريين، القاهرة ١٩٦٨، ص ٦٠-٧٠.

[239]Trigger, Nubia under the Pharaohs, p. 130.

[240]García, "Temples and agricultural labour in Egypt", p. 226.

[241]Trigger, Nubia under the Pharaohs, p. 130.

[242]García, "Temples and agricultural labour in Egypt", p. 226.

[243]Säve-Söderbergh, Ägypten und Nubien, s. 130.

[٢٤٤]عن مظاهر تمصير النوبة في عصر الدولة الحديثة، انظر: إبراهيم مهران: حكام النوبة، ص ٢٤١ – ٣٠٩.

[245] Valbelle, “International relations between Kerma and Egypt”, p.103-109.

[246] Hibbs, Irrigation and Infection, p. 43-44.